العدد العاشر، آب 2020

المعاونية الثقافية

وحدة الدراسات والمتون الثقافية

# الرصد الثقافي

نشرة دورية تعنى برصد القضايا والأخبار الثقافية

هل أميركا خرافة؟ تعاني الأمّة الأمريكيَّة من تشقّقات عميقة، ربّما أكثر بكثير من القدرة على إصلاحها!

مقتل جورج فلويد ووباء العنصريَّة وكلاب ترامب المتوحشة

أميركا على شفا الوقوع في حرب أهليَّة، مؤرخون وخبراء وكُتاب يؤكدون نشوبها بشكل جديد

ما هي المخاطر العالميّة للانتخابات الأميركيَّة؟

إعداد: مركز المعارف للدراسات الثقافية 2020

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION

# الرصد الثقافيّ

نشرة داخليّة دوريّة تُعنى برصد القضايا والأخبار الثقافيّة

تصدر عن مركز المعارف للدراسات الثقافيّة

دار المعارف الإسلامية الثقافية

الـــكـــتـــاب: **الرصد الثقافيّ** (10)

إعـــــــداد: **مركز المعارف للدراسات الثقافيَّة**

تصميم وطباعة: DBOUK 009613336218

almaaref.center. cs@gmail.com
00961 01 467 547
00961 76 960 347

**لا يتبنّى المركز جميع الآَراء الواردة في المقالات**
**والأبحاث والكتب والأخبار المنشورة في هذا التقرير**

العدد العاشر، آب 2020

المعاونيَّـــة الثقافيَّـــة
وحدة الدراسات والمتون الثقافيَّة

# الـرصـــد الثقافـيّ

نشرة دوريَّة تُعنى برصد القضايا والأخبار الثقافيَّة
تصدر عن مركز المعارف للدراسات الثقافيَّة

إعداد: مركز المعارف للدراسات الثقافيَّة 2020

بسم الله الرحمن الرحيم

# الفهرس

**المقدِّمة**............................................................ 7

**1. ذي نيويوركر**

هل أميركا خرافة؟ تعاني الأمّة الأمريكيَّة من تشقّقات عميقة، ربّما أكثر بكثير من القدرة على إصلاحها! ............................................ 9

**2. غلوبال بوليسي جورنال**

تشومسكي: مقتل جورج فلويد ووباء العنصريَّة وكلاب ترامب المتوحشة ....... 14

**3. ميدل إيست آي**

على العالم أن يفهمَ ما هو الخطأ بخصوص أميركا ................................ 21

**4. واشنطن بوست**

ترامب قد يدخل التاريخ باعتباره آخر رئيس للكونفدراليَّة ............................ 24

**5. ذي نيويوركر**

أميركا على شفا الوقوع في حرب أهلية مؤرخون وخبراء وكُتاب يؤكدون نشوبها بشكل جديد.. ................................................................ 27

**6. ناشيونال ريفيو**

الحضارة الأميركيَّة هشّة في جوهرها! لا مفر من اندلاع ثورة مضادة لأن الولايات المتّحدة لن تصمد من دون ثورة مماثلة. ........................................ 32

**7. «المعهد الأوستراليّ للسياسة الاستراتيجيّة»**

أميركا والعالم: ما هي المخاطر العالميّة للانتخابات الأميركيَّة؟ .............................. 35

**8. ديويتشه فيلله**

انقسام مجتمعي و«عسكرة» وبوادر حرب أهلية.. أميركا على صفيح ساخن.... 38

**9. نيويورك تايمز**

«النموذج الأميركي».. هل بدأ في التصدع؟.............................. 41

**10. الأخبار**

قراءة في الاحتجاجات الأميركيَّة وجذورها: ثقافة التمييز.................. 44

**11. AEON (موقع أمريكي)**

جاء المسلمون إلى أميركا قبلَ قرن من وصول البروتستانت وبأعداد كبيرة ..... 50

**12. بي بي سي**

المسلمون السود في الولايات المتّحدة: حين يتحالف الرهاب والعنصريَّة ...... 55

**13. موندو ويس**

هل أصبحت الولايات المتّحدة منقسمة على ذاتها؟ ................................ 59

**14. نون بوست**

المحاصصة العنصريَّة في أميركا: القانون لا يحمي الملونين! ......................... 67

**15. واشنطن بوست**

«الملونون» يحتجون.. كيف تضامن غير البيض مع ضحايا العنصريَّة؟............ 73

**16. معهد الفن والفكر (لندن)**

كيف أصبحت الفلسفه الغربية عنصريَّة بدءًاً من كانط، محى الفلاسفة الغربيون المفكرين غير الغربيين من التاريخ. ............................................ 76

**17. المركز العربي لدراسة السياسات (مترجم عن الفرنسية)**

كتاب «نوعان من البشر: تشريح العنصريَّة العادية» .................................. 82

## المقدِّمة

يتضمّن هذا التقرير مجموعة من المقالات المختارة، والمترجمة، لصحافيّين ومفكّرين غربيّين، أمريكيّين بالخصوص، أو مثقفين وازنين يعيشون في أميركا والغرب، وتتناولُ موضوع «العنصريَّة» في الولايات المتّحدة، راهنًا وماضيًا.

ولَئِن كان البعض يتساءل عن مدى جدّيّة التهديد الوجوديّ الذي تمثّله العنصريَّة على وجود الولايات المتّحدة كدولة- أمّة، إلّا أنّ هؤلاء الكتّاب، وغيرهم، يقرعون ناقوس الخطر، ويحذّرون من أنّ أفول أميركا، بصيغتها الراهنة، هو مسألة وقت، مقابل من يرون أنّ الوقت لم ينفد بعد لتصويب الوضع.

العنصريَّة في الولايات المتّحدة مركّبة، هي عنصريَّة ملوّنة، طبقيَّة، عرقيَّة، دينيّة، جغرافيّة، تحيل حياة الأقليّات في هذا البلد إلى بؤس، وتعرّضهم للإقصاء والتهميش والقهر والإذلال والقتل. عنصريَّة يحميها جهاز شرطة «مؤسرل» الأساليب والعقيدة، يختزنُ كلَّ حقد حقبة العبوديّة وقسوتها، جهازٌ أُنشئ لحماية النظام الراهن بأقسى الأساليب الوحشيّة.

يُلاحظ أنّ ثمّة، في هذا التقرير، حضورًا لافتًا للرئيس الأمريكي دونالد ترامب، في الواقع ليس الغرض من ذلك التركيز على شخصيّة هذا الرئيس الإشكاليّ، لكن وجدنا أنْ لا مناص من إيراد عدّة مقالات تعالجُ قضيّة العنصريَّة من منظور هذا الرجل، وهو ما يتجلّى في تصرّفاته وتصريحاته وعناده مسكونًا بهاجسِ الفوز بولاية رئاسيّة ثانية، في سباق انتخابيّ محموم سيطيح بأميركا، كما يرى المحلّلون، في أتون الفوضى أيًّا كانت نتائجه.

**مركز المعارف للدراسات الثقافيَّة**

## ١. ذي نيويوركر

### هل أميركا خرافة؟[1]

### تعاني الأمّة الأمريكيَّة من تشقّقات عميقة، ربّما أكثر بكثير من القدرة على إصلاحها!

ترى كاتبةُ المقالة، روبن رايت، الصحافيَّة الأمريكيَّة المخضرمة، أنّ الولايات المتّحدة تشعر وكأنّها أمّة تتفكّك؛ ليس فقط بسبب موسم انتخابات سامٍّ، أو أزمةٍ وطنية على خلفيّة العِرْق والبطالة والجوع في أرض الفُرَص، أو جائحة تقتل عشرات الآلاف كلّ شهر، بل لأنّ الأساسات التي تقوم عليها الأمّة الأمريكيَّة تعاني من تشقّقات عميقة، ربّما أكثر بكثير من القدرة على إصلاحها في أيّ وقتٍ قريب، أو في أي وقت على الإطلاق. بحسب رايت، يستهلك الغضب الكثير من الأمريكيين، وقد يصبح أسوأ بعد الانتخابات، وعلى مدى السنوات الأربع المقبلة، بغضّ النظر عن الفائز، لأنّ تصدّعاتنا السياسيَّة والثقافيَّة، والكلام لرايت، قد ولّدت شكوكًا متزايدة حول استقرار بلدٍ اعتبرَ نفسَه، لفترة طويلة، ملاذًا، وأنموذجًا واستثناءً بالنسبة إلى بقيَّة العالم.

**يستهلك الغضب الكثير من الأمريكيين، وقد يصبح أسوأ بعد الانتخابات، وعلى مدى السنوات الأربع المقبلة، بغضّ النظر عن الفائز**

تنقل رايت، في هذا السياق، عن «كولين وودوارد» صاحب كتاب «الاتّحاد: النضال من أجل صياغة قصة أمّة الولايات المتّحدة»، قولَه لها بأنّ «فكرة أنّ لأميركا ماضٍ مشترك يعود إلى الفترة الاستعماريَّة، هي خرافة»،

(1) The New Yorker, Is America a Myth?,Robin Wright, September 8, 2020.

وأضاف، «نحن أكثر من أميركا مختلفة، لكلّ منها قصص عن الأصل، ومجموعة قيَم، كثير منها غير متوافق، ما أدّى إلى اندلاعِ حربٍ أهليّة في الماضي، ومن المحتمل أن تكون قوَّة حارقة في المستقبل».

يكمل وودوراد بأنّ «الأزمة الراهنة التي تمرّ بها أميركا تعكس تاريخ الأمّة الأمريكيَّة، الذي لم يتغيّر كثيرًا كما يتّضح. فقد استوطنت البلاد ثقافاتٌ متنوّعة: فالتطهيريّون نزلوا في نيو- إنغلند، والهولنديّون حول مدينة نيويورك، «أم الأبالاشيا»، ذات الغالبية الأسكتلنديّة - الإيرلنديّة، وأمراء العبيد الإنكليز من باربادوس وجزر الهند الغربيّة فسكنوا في أعماق الجنوب، وهؤلاء غالبًا ما كانوا أخصامًا». وبحسب وودوارد: «فـإنّ الولايات المتّحدة كانت «صدفة تاريخيّة» إلى حدٍّ كبير، لأنّ الثقافات المتميّزة تشاركت تهديدًا خارجيًّا مثّله البريطانيّون، وبعد ما يقرب من مائتين وخمسين عامًا، يزعم بلد يصل حجمه إلى ستة أضعاف حجمه الأصلي أنّه بوتقة انصهرت فيها ثقافةٌ «أميركيَّة» ونظام سياسي يتعهّد بتوفير «الحياة والحريَّة والسعي لتحقيق السعادة»، لكن في كثيرٍ من الأحيان، لم يحدث ذلك.

حـذّرت مـجـمـوعـة مـكـوّنـة مـن الـحـزبـيّـيـن فـي مجلس الـنـواب، فـي آب الـمـاضي بـأنّ الـكـراهـيـة تـنـطـلـق في ظـلّ تـزايـد عـدم الـيـقـين

بعد قرون، لا تزال الانقسامات والتشقّقات الثقافيَّة عميقة، ولم يتمّ الوفاء بالوعد الأميركي للعديد من السود، اليهود، اللاتينيّين، الأميركيّين الآسيويّين، وعدد لا يُحصى من مجموعات المهاجرين، بل حتى لبعض البيض. جرائم الكراهيّة - أعمال العنف ضدّ الأشخاص أو الممتلكات على أساس العرق أو الدين أو الإعاقة أو التوجّه الجنسي أو الإتنيّة - تعدّ مشكلة متناميّة. وقد حذّرت مجموعة مكوّنة من الحزبيّين في مجلس النواب، في آب الماضي بأنّ «الكراهية تنطلق في ظلّ تزايد عدم اليقين».

تقول رايت، عندما خاضت أثينا وإسبارطة الحرب في القرن الخامس قبل الميلاد، لاحظ الجنرال والمؤرِّخ اليوناني ثوسيديدس أن «الإغريق لم يعودوا يفهمون بعضهم البعض، على الرغم من أنهم يتحدّثون اللغة نفسها»، وفي القرن الواحد والعشرين، يحصل الأمر ذاته بين الأميركيّين. وتنقل رايت عن ريتشارد كريتنر، في كتابه المنشور أخيرًا: «فكّكوه: الانفصال والانقسام والتاريخ السرّي لاتّحاد أميركا غير الكامل» قوله بأنّ خطابن االسياسي تحوّلَ إلى «حرب أهليَّة بوسائل أخرى. نبدو كأنّنا لا نريد حقًّا الاستمرار في أن نكون أعضاء في بلد واحد»، في أوقات مختلفة من تاريخ أميركا، كان بقاء الاتّحاد ناتجًا من «الحظّ والصدفة»، بقدر ما نتج من التلويح بالأعلام والإرادة السياسيَّة. «في كلّ خطوة تقريبًا، تطلّب الأمر تنازلاتٍ لا يمكن الدفاع عنها أخلاقيًّا، أدّت فقط إلى تأجيل المشاكل إلى المستقبل».

ترى رايت، أنّ محاولة تصفية الحساب مع الماضي أنتجت المزيد من الأسئلة، والانقسامات الجديدة، بشأن مستقبلنا. في العاصمة واشنطن، أوصت الأسبوع الماضي مجموعة مكلّفة من عمدة المدينة، موريل باوسر، في تقرير، بأن يطلب مكتبها من الحكومة الفيدراليّة «إزالة أو نقل» نصب واشنطن التذكاريّ ونصب جيفرسون وتماثيل بنيامين فرانكلين وكريستوفر كولومبوس، من بين أمور أخرى. ووضعت اللجنة قائمة بالأشخاص الذين لا ينبغي تسميةُ أعمال عامّة بأسمائهم، بما في ذلك الرؤساء جيمس مونرو، أندرو جاكسون، وودرو ويلسون، والمخترع ألكسندر غراهام بيل، وفرانسيس سكوت كي الذي كتب النشيد الوطني. بعد موجة من الانتقادات، قالت باوسر، يوم الجمعة، إنّه جرى تحريف التقرير، وإنّ المدينة لن تُقدِم على أيّ فعلٍ في ما يتعلّق بالآثار والنصب التذكاريّة. ولكن يبقى هناك سؤال، ليس فقط لأنّنا نعيش في عصر «حياة السود مهمّة»: ما هي أميركا اليوم؟ وهل تختلف عن ماضيها المُعيب بشدّة؟

تروي روبن رايت أنّ الولايات المتّحدة مرّت، منذ أعوام الـ1830، بسلسلة من الأزمات التي هدّدت تماسكها. فقد بدأت فكرة الجمهوريّة الثوريّة الملتزمة بالمساواة (في ذلك الوقت، للرجال البيض فقط) بالتآكل، مع ظهور الاختلافات الإقليميّة وتلاشي الجيل الأوّل من الثوّار. ضغطت الولايات أو الأقاليم، مرارًا وتكرارًا، باتجاه الاستقلال، لكن الانقسامات الواسعة هدّدت، مرّة أخرى، بالتسبّب في تفكّك الأمّة في الثلاثينيات والستينيات من القرن الماضي، «ومرة أخرى؟»، على ما تنقل رايت عن المؤرّخ في جامعة «ييل»، ديفيد بلايت، تمتلىء أميركا بالحركات الانفصاليَّة، وفي انعكاس لـ«بريكست» - خروج بريطانيا من الاتّحاد الأوروبي - يطالبون بـ«تكست» (تكساس)، «كاليكسيت» (كاليفورنيا)، و«فيريكست» (فيرمونت).

**مع سياساتها المتحطّمة بشكل كبير، فإن وقت أميركا ينفد. واحتمال وقوع انفصال جسدي أو سياسي هو الآن حقيقي**

ساعدتِ الحاجةُ إلى التجارة الداخليَّة ومخاطرُ التهديدات الخارجيَّة في تماسك أميركا. تَجمّعت الفصائل المتباينة في البلاد من أجل مواجهة الاعتداء البريطاني في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر؛ والألمان واليابانيين في القرن العشرين؛ و«القاعدة» بعد هجمات 11 أيلول/ سبتمبر في القرن الـ21. ولكن الآن، من دون تهديدات خارجية، تنقلب الأمّة بشكل متزايد على نفسها. «نحن بالتأكيد لسنا موحّدين»، كما يقول بلايت، « فهل نحن على حافة انفصال من نوعٍ ما؟ لا، ليس بالمعنى الحرفي. ولكن في داخل عقولنا ومجتمعاتنا، نحن بالفعل في فترة انفصال بطيء التطوّر، الولايات المتّحدة اليوم هي بيت منقسم حول ما يبقيه واقفًا».

تعود رايت إلى ريتشارد كريتنر وكتابه، الذي يجادل فيه «بأنّه، مع سياساتها المتحطِّمة بشكل كبير، فإن وقت أميركا ينفد. واحتمال وقوع انفصال جسدي أو سياسي هو الآن حقيقي، على الرغم من أن الاستقطاب في أميركا ليست له حدود

جغرافية دقيقة: لا ولاية حمراء هي كذلك بالكامل، ولا ولاية زرقاء هي زرقاء بالكامل، لكن يشهد القرن الحادي والعشرون عودةً لا لبس فيها لفكرة مغادرة الولايات المتّحدة أو تفكيكها. «مجموعة متنوّعة من الحركات الانفصاليّة التي شكّلتها صراعات وانقسامات الماضي تجلّت بطرق جديدة، وقد تكون مزعزِعة للاستقرار»، يكتب كريتنر. على عكس الماضي، فقد ظهرت الدوافع الانفصاليّة الحالية في أماكن متعدّدة في الوقت ذاته. وبحسب كريتنر، كما تنقل رايت، «غالبًا ما تُرفض فكرة الانفصال على اعتبار أنّها غير جادّة أو خياليّة، إلّا أنّ عودة الحديث عن الكونفدراليّة والانفصاليّة الجديدة تكشف انقسامات في الحياة الأميركيَّة، ربما لا تقلّ صعوبة عن تلك التي أدّت إلى الحرب الأهليّة الأولى».

**يشهد القرن الحادي والعشرون عودةً لا لبس فيها لفكرة مغادرة الولايات المتّحدة أو تفكيكها**

تختم رايت مقالتها بالقول: «في السنوات المقبلة، من المرجّح أن تزداد جاذبيّة إيقاف التجربة الأميركيَّة، حتى بين المؤمنين المخلصين لفكرة السلطة الفيدرالية. وتنقل مجدّدًا عن كريتنر قوله إنّه: «في حال جرى حلّ الاتّحاد مجدداً، فإن ذلك سيكون في كلّ مكان، ومرّة واحدة». في بعض النواحي، ستكون الانتخابات التي تفصلنا عنها ثمانية أسابيع فقط بمثابة إسعافٍ مؤقّت، على الأقلّ لإنهاء حالة عدم اليقين الحالية المؤلمة، لكنها ستلعب جزءًا من الدور فقط في تقرير ما سيحدث في النهاية لأمّتنا.

«هل نحن خرافة؟ حسنًا، نعم، بالمعنى العميق للكلمة. لطالما كنّا كذلك»، قال بلايت. ومن أجل البقاء، يجب على أميركا أن تتجاوز الخرافة.

## 2. غلوبال بوليسي جورنال

# تشومسكي: مقتل جورج فلويد ووباء العنصريَّة وكلاب ترامب المتوحشة[1]

قام المفكر السياسي سي.جي پوليتشرونيو بإجراء مقابلة مع واحد من أهم المفكرين في الولايات المتّحدة وفي العالم، نعوم تشومسكي، ليسأله عن كل القضايا الملحّة التي تمرّ بها الولايات المتّحدة. المقابلة نُشِرَت على موقع «Truth out» ترجمها بتصرّف «حسن مصاروة» في صحيفة «الاتحاد» اليسارية الفلسطينية.

ننقل المقابلة كما وردت على موقع الصحيفة، حفاظًا على انسيابيتها وحرصًا على عدم الاجتهاد في الحذف والتلخيص، لكون المتحدّث هو اللغويّ اليهوديّ اليساريّ ذائع الصيت نعوم تشومسكي:

- **پوليتشرونيو:** سيّد تشومسكي البعض يقول تعليقًا على مقتل جورج فلويد إن العنصريَّة وباء أمريكي، وأنّنا خلال 400 عام لم نجد لها لقاحًا، لماذا تبدو العنصريَّة في الولايات المتّحدة راسخة ومستعصية إلى هذا الحد؟
- **تشومسكي:** الإجابة موجودة فيما حدث خلال الـ400 سنة هذه. لقد صنعت السنوات الـ250 الأولى من عمر الولايات المتّحدة أكثر أنظمة العبوديّة شراسة في تاريخ الإنسانيّة، وذلك بمجرّد أن حصلت المستعمرات على حريّتها. لقد كان هذا النظام العبوديُّ فريدًا لا بقسوته البشعة، لكن أيضًا لكونه كان نظامًا استند إلى لون البشرة، ولهذا كان لا يمكن استئصاله، بل تحوّل إلى لعنة امتدّت إلى الأجيال المستقبليّة. وقد عوملت أقليّات أخرى بقسوة، وحتى حرمت من المكوث في الدولة بواسطة قوانين عنصريَّة، مثل

(1) Global policy, Noam Chomsky: Amid Protests and Pandemic, Trump's Priority Is Protecting Profits, C. J. Polychroniou, 11 June 2020.

تمَّ ترجمة هذا النص من قِبل حسن مصاروة من صحيفة الاتحاد الفلسطينيَّة.

اليهود والإيطاليّين. لكن على عكس السّود، فإن «وصمة العار» لم تلتصق بهم بشكل دائم، كان من الممكن ضمّهم في النهاية وتحويلهم إلى مجتمعات أكثر قبولًا.

**كم هي فريدة العنصريَّة الأمريكيَّة في شدّتها. حيث أنّ قوانين عدم اختلاط الأعراق التي بقيت في كتب القوانين حتى انبثاق حركة الحقوق المدنية في الستينات، كانت شديدة جدًا لدرجة أنّ النازيين في ألمانيا رفضوها حينما كانوا يبحثون عن نماذج لقوانين نورمبيرغ العنصريَّة**

كم هي فريدة العنصريَّة الأمريكيَّة في شدّتها. حيث أنّ قوانين عدم اختلاط الأعراق التي بقيت في كتب القوانين حتى انبثاق حركة الحقوق المدنية في الستينات، كانت شديدة جدًا لدرجة أنّ النازيين في ألمانيا رفضوها حينما كانوا يبحثون عن نماذج لقوانين نورمبيرغ العنصريَّة.

انتهت العبوديّة رسميًّا في الولايات المتّحدة قي عام 1865، ومُنِحَ السود يومها عقدًا كاملًا من إعادة التأسيس، وقد استغلّوا هذه السنوات بصورة مثيرة للإعجاب في فعاليّتها وتأثيرها، بالنظر إلى ميراث الرعب الذي كانوا يحملونَه. لكن، حتى هذا انتهى، لأنّه تمّ التوصل إلى اتفاقيّة بين الشمال والجنوب سمحت للعنصرين في الجنوب أن يقتلوا ويقمعوا وأن يحولوا السّود إلى قوّة عمل بالسّخرة[1] من أجلِ تحريك الثورة الصناعيّة الجنوبيّة، وكل ذلك تمّ من خلال «تجريم» السود وسجنهم بشكل جماعي وسلبهم حقوقهم.

هذه الوصمة في التاريخ الأمريكي دامت حتى الحرب العالمية الثانية تقريبًا، حينما احتاجت صناعة الحرب إلى العمالة الحرّة، أتذكر، والكلام لتشومسكي، كيف أنّ الخدم السود اختفوا من منازل الطبقة الوسطى في تلك الفترة. ثمّ أتيحت، أثناء

(1) من أهم الروايات التي تصف تلك الحقبة وفظاعتها رواية «أحداث في حياة فتاة مُستَعبَدة» Incidents in the Life of a SlaveGirl, وهي سيرة ذاتيَّة كتبتها هاريت جيكوبس، ونُشرت عام 1861.

النمو الكبير الذي حصل بعد الحرب، بعضُ الفرص للسّود الأمريكيين، إلّا أنّ عراقيل جدّيّة بقيت موجودة. الفرص التعليميّة التي مُنحَت بعد الحرب، منعت عن المواطنين السود بواسطة قوانين معينة؛ ملكيَّة المنازل، أساس الثروة لمعظم الناس، تمّ حرمان السّود منها بواسطة القوانين الفدراليَّة، وفي الوقت الذي سحبت فيه هذه القوانين العنصريَّة تحت ضغط نضال حركة الحقوق المدنيّة في الستينيات، كانت الفرصة قد ضاعت على الكثير من المواطنين السود.

عانى الاقتصاد من الكساد في فترة السبعينيات وعندها انقضَّت النيوليبرالية وسيطرت على الاقتصاد، وهي التي صُمِّمَت بالأساس لإبقاء المواطنين الفقراء والعمال في مكانهم، وكالعادة فالمجتمعات السوداء كانت الأكثر تأُثرًا بشكل وحشي بهذا العدوان النيوليبرالي الاقتصادي، الذي جاء مجتمعًا مع الموجة الجديدة من تجريم السود بواسطة إدارة ريغان العنصريَّة، وهي السياسة التي عُززت بواسطة بيل كلينتون تحت عباءة «أنا واحد منكم»، وحتى جورج فلويد اليوم.

ليس من الصّعب إذًا الإجابة عن السؤال، على الأقل على مستوى واحد. أما على مستوى أعمق فيمكن أن نسأل لماذا يصعب علينا معالجة هذا المرض؟

من الجدير بالذكر أن العنصريَّة ليس أمرًا مميزًا للولايات المتّحدة فقط، العنصريَّة تواجدت دائمًا بشكل أو بآخر، لكن فقط بعد عصر التنوير والاستعمار الإمبريالي اكتسبت «خبثها» المعاصر.

لنراها على حقيقتها في أوروبا، ما علينا إلّا أن نشاهد الجهود الجبارة لأوروبا «المتحضّرة» حتى تبقي ضحايا قرون من الإرهاب والذبح الأوروبي بعيدًا عن شواطئها. نذكر كيف فضلت أوروبا أن تشاهد آلاف الليبيين يغرقون في البحر هربًا، في مشهد الإبادة الجماعيّة الذي قام به الاستعمار الإيطالي الفاشي في ليبيا بعد الحرب العالمية الثانية، هذا مشهد نستطيع أن نتذكر كم كان محمودًا في الديمقراطيّات الليبرالية

في الغرب. وحتى الأستاذ الروحي «لليبرتارية»، وهو مذهب مؤيّد للحريّة الفردية، «لودفيج فون ميزس» الذي كتب في عام 1927 أنه «لا يمكن أن ننكر أنّ الفاشيّة والحركات المشابهة، رغمًا عن ديكتاتوريتها، تحمل أفضل النوايا، وأنّ تدخّلَها في هذه اللحظة قد أنقذ الحضارة الأوروبية، إنّ الفضلَ الذي استحقّته الفاشية بجدارة سيخلّدُ في التاريخ».

**تشومسكي: إنّ القوى التي صَنَعَتْ النظام الاقتصادي-الاجتماعي الحالي، ومن ضمنه الوباء والسباق من أجل التدمير الذاتي، لا تضيّع لحظة واحدة في تفانيها من أجل ضمان بقاء الكارثة النيو-ليبرالية، وبالطبع عودتها بصيغة أشرس، مع وسائل معقدة للمراقبة والسيطرة**

- **پوليتشرونيو:** شاهدنا في عصرِ الكورونا عودة مفاجئة إلى التفكير الاقتصادي الموجه، وبشكل فضفاض، بواسطة الأفكار الكينزية، أي زيادة إنفاق الحكومة وتخفيض الضرائب، بهدف تنشيط الاقتصاد، والحفاظ على دولة رفاه صلبة. هل هذه إشارة إلى أنّ النيوليبراليّة في الطريق إلى نهايتها؟ أم أنّنا سنشهد عودة إلى الوضع «العادي» بعد انتهاء الأزمة الصحية بخاصة في الولايات المتّحدة حيث يوجد مقاومة كبيرة للديمقراطية-الاجتماعية؟
- **تشومسكي:** إنّ القوى التي صَنَعَتْ النظام الاقتصادي-الاجتماعي الحالي، ومن ضمنه الوباء والسباق من أجل التدمير الذاتي، لا تضيّع لحظة واحدة في تفانيها من أجل ضمان بقاء الكارثة النيو-ليبرالية، وبالطبع عودتها بصيغة أشرس، مع وسائل معقدة للمراقبة والسيطرة. وستنجح بذلك إلا إذا قامت الجماهير الشعبية بسحب تأييدها لها، وقامت باستخدام تلك القوة الموجودة بين أيادي المحكومين وتنظيم نفسها لخلق عالم أكثر إنسانية وعدلًا- في الحقيقة، عالم قادر على البقاء.

وهذا يتطلب على أقل تقدير، دولة اجتماعية بالحدود الدنيا. ونستطيع أن

نعي كم هي صعبة حتى هذه الخطوة البسيطة، من معاينة التعليقات الليبرالية على حملة بيرني ساندرز: «أفكار جيدة، لكن الشعب الأمريكي ليس جاهزًا لها»، وهذا اتّهام لا يصدق للمجتمع الأمريكي، الذي وفقًا لهذا الحكم، ليس قادرًا أن يصعد إلى مصاف ما هو عادي في أي مكان آخر: رعاية صحية للجميع، وتعليم عالي مجاني...

لكن الانضمام إلى باقي العالم يجب أن يكون الهدف الأدنى لحركة تقدميّة شعبيّة. لماذا على القرارات المتعلّقة بحيواتنا أن تنتقل من ممثلين منتخبين، الذين يملك الناس بعضًا من السيطرة عليهم على الأقل، إلى أيادي «خاصّة» غير قابلة للمحاسبة كما تحدّد العقيدة النيوليبراليّة. ولنقول أكثر من ذلك، لماذا على الناس أن يمضوا معظم حياتهم الواعية تحت آليات ضبط وسيطرة بشكل متطرف لم يحلم بها حتى ستالين؟ إنّ العمل تحت هذه الأوامر والإشراف الخارجي هو عدوان مباشر على الحقوق والكرامة الإنسانية الأساسية. ذلك الإشراف الخارجي والسيطرة التي اعتبرت محتقرة منذ اليونان وروما القديمة حتى القرن الـ19، والتي استهجنت بشدة من قبل الناس في بدايات الثورة الصناعيَّة. هذه مجرد بداية، عالم مختلف ممكن أن يكون، عالمًا مختلفًا جدًا.

- **پوليتشرونيو:** في الـ40 عامًا الماضية، شهدنا في الولايات المتّحدة تحلّلًا لدولة الرفاه وصعودًا لأيديولوجيا السوق المتطرّفة، حتى وصلنا إلى الحال حيث لا تستطيع الدولة أن تتعامل مع أزمة صحيّة هائلة، بالإضافة إلى إشكاليات ماثلة منذ زمن مثل الفقر على نطاق ضخم، ولا -مساواة اقتصادية هائلة، وعنصريَّة ووحشيّة الشرطة. لكن مع كل هذا لم يتردّد دونالد ترامب من أن يقول في غمرة الاحتجاجات على مقتل جورج فلويد إن «الولايات المتّحدة هي أعظم دولة في العالم» في الوقت الذي يبدو أنّه يسعى لإشعال حرب

أهلية في هذه البلاد عن طريق اتّباع تكتيكات الاستقطاب المتطرّف. هل يمكنك التعليق على ما تمرّ به البلاد اليوم؟

- **تشومسكي:** لا أظن أن ترامب يريد حربًا أهليّة. بل أعتقد، كما يصرح هو، أنه يريد «الهيمنة» بواسطة العنف وأن يُرعب كل معارضة محتملة. هذا رد فعله الطبيعي. انظر فقط إلى انفجار غضبه حينما تجرأت سيناتور جمهوريّة مثل «ليسا موركاوسكي» على أن تخرق الانضباط الحزبي المقدس وأن تظهر بعض الشكوك حول «روعة جلالته الملكيّة». أو قيامه بفصل العالم المسؤول عن تطوير اللقاح حينما طرح شكوكًا حول واحد من الأدوية الجدليّة التي يروّج لها ترامب، أو قيامه بتحييد المفتش العام الذي كان من الممكن أن يقود تحقيقات في طبيعة المستنقع النتن الذي ينشئه ترامب في واشنطن. إنّه وضع فاسد، وترامب ظاهرة جديدة بشكل جذري في التاريخ السياسي الأمريكي.

ردة فعل أخرى لترامب هي تهديده بـ»الكلاب الأكثر شراسة، والأسلحة الأكثر شؤمًا التي رأيتها في حياتي»، حينما أحاط المحتجون السلميون مسكنه في البيت الأبيض. إنّ جملة «كلاب شرسة» تستحضر الرعب في هذه البلاد، حينما ظهرت صور الكلاب المتوحشة وهي تهاجم المحتجين السود على الصفحات الأولى للجرائد أثناء حركة الحقوق المدنيّة. استعمال ترامب لهذه الجملة بالذات، إمّا أنّه ينبع من نيّة مبيّتة لديه لإثارة العنف العنصري، أو هي ردّ فعل انعكاسي نابع من أعمق مشاعره. سأترك للآخرين الحكم أيهما أسوأ، وما يخبره كل من الاحتمالين عن هذا «الشر الخبيث» الذي يقبع الآن في مركز القوّة العالمية.

ولا تضارب هنا، إنّ ادّعاءه أنّ الولايات المتّحدة هي أعظم دولة في العالم، في حسه الخاص، من جهة، ودعوته من أجل الهيمنة من جهة أخرى. تنبع كلاهما

من عقيدته الأساسية «الأنا»، والنتيجة المباشرة لهذه العقيدة هي أنّه يجب عليه أن يُشبع متطلبات حيتان المال وسلطة الشركات، الذين يتحملون «غرائبه»، طالما أنّه يخدم مصالحهم بوضاعة. هذا ما يفعله بالضبط من خلال برامجه التشريعيّة وقرارته التنفيذيّة. كما قراره الأخير بالنسبة لوكالة حماية البيئة الذي سيزيد تلوث البيئة لمصلحة الشركات الصناعيّة، غير مهتم أنّه سيُعرِّض بذلك الآلاف لخطر الموت، والنسبة الأعلى منهم بين السود بالذات، كما تشير التقارير، ما دام المقابل هو زيادة الثورة لأولئك الذين «يهمونه».

**تتضمَّن فقط حاملي أيديولوجيا العلوية العرقيَّة البيضاء لكن آخرين أيضًا واقعون في قبضة الخوف من «الهُم». هؤلاء «الهُم» الذين بسبب القمع المرير يلجؤون إلى الجريمة- فيبث ثقافة الخوف من «جرائم» الضعفاء الجزئيَّة لا الخوف من جرائم الأقوياء الشاملة**

نجاح تكتيكات ترامب ظهر بوضوح في يناير، في المسرحيّة الكبرى المقامة في منتجع «دافوس»، حيث يلتقي «أسياد الكون» كما يطلق عليهم، بشكل سنوي، ليهنئ أحدهم الآخر، إلّا أنّ اجتماع هذا العام في دافوس كان مختلفًا عن العادة. كان هناك قلق حول تعرض «سمعتهم» للخطر، كان هناك نوع من الإدراك أنّ «الفلاحين قادمون يحملون المذاري ويحوطون قلاعهم» غضبًا، لذلك كانت نبرتهم هذه المرة على غرار: نحن نعلم أننا قمنا بالعديد من الأخطاء، لكننا نتغيّر، تستطيعون أن تثقوا بنا، سوف نتحوّل إلى «شركات لديها روح وعطف». والكلمة الرئيسيّة في المؤتمر سُلِّمت بالطبع إلى ترامب، الأب الروحي. الشخصيّات الأنيقة المجتمعة هناك لا تحبّ ترامب. بذاءته وبهيميته بشكل عام تضرّ بصورتهم التي يفضّلون أن يعكسوها عن أنفسهم، مثقّفون إنسانيّون ومُتنوِّرون. لكنهم مع ذلك منحوه بعد خطابه تصفيقًا حماسيًّا. لنضع «غرائبه» جانبًا، الرجل جعل الأمر واضحًا أنه يفهم الأمر الأساسي: أيّ جيوبٍ يجب أن تُحشى بسخاءٍ بمزيدٍ من الدولارات.

> مجال البحث والدراسات الأميركيَّة بات في حاجة ملحّة إلى إعادة قراءة «جذرية»

ونتيجة مباشرة أخرى لعقيدة ترامب هذا الرجل المحتال الذي يمسك بسدة الحكم اليوم يريد أن يحافظ على قاعدة ناخبيه في الوقت الذي يطعن معظمهم بالظهر ببرامجه الفعليّة من تشريع وقرارات تنفيذيّة لمصلحة حيتان المال. وهذه مهمّة صعبة استطاع أن يديرها إلى حد الآن بمهارة. قاعدة ترامب لا تتضمَّن فقط حاملي أيديولوجيا العلوية العرقيَّة البيضاء لكن آخرين أيضًا واقعون في قبضة الخوف من «الْهُم». هؤلاء «الْهُم» الذين بسبب القمع المرير يلجؤون إلى الجريمة- فيبث ثقافة الخوف من «جرائم» الضعفاء الجزئيَّة لا الخوف من جرائم الأقوياء الشاملة.

بالنسبة إلى داعمي ترامب الأساسيّين، حيتان المال وسلطة الشركات، أميركا بالطبع أعظم دولة في العالم. لكن كيف لشخص أن يخدع بلدًا يسيطر فيها 0,1 بالمئة من السكان على 20 بالمئة من الثّروة في حين أنّ الغالبيَّة لا تستطيع أن تصمد في الحياة بمعاشها الشهري ويحصل مدراء الشركات على تعويضات أكثر من العمال بـ 278 مرّة؟ هو يدعو للهيمنة بالعنف بواسطة «كلاب شرسة» ليُرضي نسبة كبيرة من قاعدته الانتخابية، الأمر يجري بهذه الطريقة.

## 3. ميدل إيست آي

### على العالم أن يفهمَ ما هو الخطأ بخصوص أميركا[1]

**الطريق لفهم بواعث العنصريَّة الأميركيَّة في الداخل والخارج**

يعتقد الباحث الأميركي-الإيراني في جامعة كولومبيا بنيويورك حميد دباشي أن مجال البحث والدراسات الأميركيَّة بات في حاجة ملحّة إلى إعادة قراءة

(1) The Middle East Eye, The world needs to understand what is wrong with America, Hamid Dabashi,26 June 2020.

«جذرية». يرى دباشي، في مقال له على موقع «ميدل إيست آي» البريطاني- أنّ هذا المطلب يفرض نفسه، بخاصَّة بعد أن بات شعب الدولة الأقوى في العالم في «أتعس» حالاته منذ نصف قرن كما تؤكد ذلك استطلاعات حديثة، حيث يعيش الأميركيّون خلال فترة الرئيس دونالد ترامب على وقع أزمات متتالية جراء تداعيات جائحة كورونا، إضافة إلى تفاقم حالات اليأس الناجم عن إجراءات الإغلاق والتباعد الاجتماعي والاحتجاجات الواسعة ضدّ العنصريَّة ووحشيّة الشرطة.

يؤكِّد دباشي أن مقتل جورج فلويد وماتلاه من حراك اجتماع يتجاوز الحدود، وصدح بشعار «حياة السود مهمة»، ودشَّن مرحلة جديدة وغير مسبوقة في تاريخ أميركا الحديث، ليس من السهل التنبؤ بنتائجها ومآلاتها، وقد سعى أميركيّون كثر لاستيعاب وفهم عمق الكارثة التي باتوا يواجهونها ونقلوها من غير قصد ربما إلى أقطار أخرى ما وراء البحار، لكن بلا جدوى.

وبصفتها «المركز الجمهوريّ لإمبراطوريَّة مختلّة»، فإنّ ما يحدث في الولايات المتّحدة امتدّت آثاره وتداعياته لباقي العالم. لذلك يرى دباشي أن «نظرة نقديَّة» من خارج أميركا باتت مسألة جوهريَّة لفهم ما يجري في الداخل، وهو أمر يطرح -برأيه- فرصًا وتحديات «إبستمولوجيَّة» ذات طبيعة خاصة.

### الاستشراق والهيمنة

يقول دباشي، إنّ العالَمَ بقي لأكثر من قرنين تحت رحمة «النظرة الغربيَّة»، حيث تم النظر إليه وفحصه وبحث إثنياته وأنماطه الاجتماعيّة، وقياس جماجم سكّانه ووضعها في متاحف أو حدائق للحيوانات لدراستها من قبل «السادة البيض» الذي طافوا العالم وغزوا البلدان واستعمروها. ويستشهد دباشي بكتاب «الاستشراق» الصادر عام 1978، الذي سلّط خلاله المفكر الأميركي الفلسطيني إدوارد سعيد

الضوء بشكل خاص على فصل من فصول هذا النمط من إنتاج المعرفة الاستعماريّة، التي سُخِّرَت لخدمة «الهيمنة الكولونياليَّة»، مدشّنًا بذلك حقلًا كاملًا من الدراسات التي سعت لعكس هذه النظرة.

لكن أنماط إنتاج المعرفة المركّزة على الإنسان الأبيض الأوروبي بقيت -بحسب دباشي- حاضرة حتى بعد صدور كتاب «الاستشراق»، واستمرّت تخصّصات من قبيل الأنثروبولوجيا في توسيع نطاق مقارباتها المعرفيَّة الموغلة في العنصريَّة إلى أقاصي الأرض. وبقي مجال الدراسات الأميركيَّة بشكل كبير حكرًا على الأمريكيّين البيض حتى وقت قريب، وذلك عندما بدأ أميركيّون من السكان الأصليين ومن أصول أفريقيّة ولاتينية وبعض من أبناء الجاليات المهاجرة الأخرى في عكس هذه النظرة الداخليّة وتغيير الطريقة التي باتت تُقرَأ بها أميركا.

لكن هذا المجال ما زال يحتاج اليوم إلى «انقلاب» أكثر َقوة وجذريّة، بخاصَّة من خلال مشاركة أكبر لغير الأميركيين وللمنحدرين من أقطار طالتها ويلات البطش العسكري الأميركي (العراق وأفغانستان مثلًا). ومن الأساسي أيضًا -بحسب دباشي- خلق جيل جديد من الباحثين الأميركيّين لربط القوى التقدميَّة في صفوف سكان أميركا الأصليين ومن ذوي الأصول الأفريقية واللاتينيَّة مع الباحثين والمفكرين والفنّانين وصُنَّاع السينما وغيرهم من غير الأميركيين.

## العنف الأميركي

يرى دباشي أنّ «عولمة الإمبراطوريَّة الأميركيَّة» حمّلت باقي العالم ضريبة العنف الأميركي، وكما أن الأميركيين من أصول أفريقية والجماعات العرقيَّة الأخرى داخل الولايات المتّحدة واقعون تحت رحمة جهاز شرطة «عنصري» فإنّ باقي أقطار العالم واقعة تحت رحمة الجيش الأميركي.

تُستمدّ العنصريَّة ضد السود في أميركا جذورها من موقف «الرجل الأبيض»

**تُستمدّ العنصريَّة ضد السود في أميركا جذورها من موقف «الرجل الأبيض» المتعالي، ليس تجاههم فقط، لكن إزاء كامل دول القارة السمراء التي وصفها يومًا الرئيس دونالد ترامب بـ«دول القذارة»، وبالتالي ينطبق هذا الوصف آليًا على غيرها من الدول، في آسيا وأميركا اللاتينيَّة**

المتعالي، ليس تجاههم فقط، لكن إزاء كامل دول القارة السمراء التي وصفها يومًا الرئيس دونالد ترامب بـ«دول القذارة»، وبالتالي ينطبق هذا الوصف آليًّا على غيرها من الدول، في آسيا وأميركا اللاتينيَّة.

لذلك، فإنَّ إثارة انتباه العالم إلى البنية «المتوطنة والدائمة» للعنصريَّة الأميركيَّة -بحسب دباشي- هي إطار عمل محوري نحو بناء حقل جديد للدراسات الأميركيَّة متحرّر من حرج الانتماء للمؤسّسات البحثيَّة الأميركيَّة ومن التفكير النقدي الغارق في ثنائيَّة «الديمقراطيّين ضدَّ الجمهوريّين» العقيمة التي تضبط إيقاع السياسة الأميركيَّة.

## 4. واشنطن بوست

### ترامب قد يدخل التاريخ باعتباره آخر رئيس للكونفدراليَّة(1)

كتب يوجين روبنسون في صحيفة «واشنطن بوست» مقالةً قال فيها إنّ ترامب «قد يدخل التاريخ باعتباره آخر رئيس للكونفدراليَّة». والولايات الكونفدراليَّة الأميركيَّة (1861-1865) هو الاسم الذي اختارته ست ولايات جنوبيَّة من الولايات المتّحدة للاتّحاد في ما بينها بسبب قرار الرئيس الأميركي أبراهام لنكولن منح الحريّة للعبيد. وقد انسحبت هذه الولايات من حكومة الولايات المتّحدةالأميركيَّة ونظّمت حكومتها في مونتغمري، ألاباما في شباط/فبراير عام 1861، لأنّها خشيت أن يؤدّي

(1) The Washington Post, Trump might go down in history as the last president of the Confederacy, Eugene Robinson, 11June 2020.

انتخاب لنكولن، وهو رئيس جمهوري، إلى تقييد حقّهم في فعل ما يشاؤون فيما يتعلّق بمسألة الرق.

يقول روبنسون: «كان ينبغي أن يحدث ذلك قبل 155 عامًا، عندما استسلم «روبـرت إي لي»[1] لـ«أوليسيس إس غرانت»[2] في أبوماتوكس، ولكن ربما فقط انتهت الحرب الأهليَّة أخيرًا. وربما سيدخل دونالد ترامب، وليس جيفرسون ديفيس، في التاريخ باعتباره آخر رئيس للكونفدراليَّة».

**يمثل العلم الكونفدرالي الركبة التي بقيت على أعناق الأميركيين الأفارقة ليس فقط لمدة ثماني دقائق و46 ثانية، وهو الوقت الذي قضى فيه ديريك تشوفين في سحق حياة جورج فلويد، ولكن لمدة 401 عام**

ورأى الكاتب أنّ رمز «القضيّة الضائعة» أي روبـرت إي لي، رمز قضيّة الكونفدراليَّة، على غرار الحرب الأهليَّة الأميركيَّة نفسها، يتعلّق ببساطة وبشكل كامل بالتفوق الأبيض، وأنّ ذلك لا علاقة له بـ «التراث» أو «التقليد» أو أي هراء شاذ من هذا القبيل. فلم يكن لحشد «تحرير ميشيغان» المدجّجين بالسلاح الذين غزوا مبنى الولاية في لانسينغ، وبدافع من الرئيس دونالد ترامب، أي سبب تاريخي للتلويح بالعلم الكونفدرالي. يمثل العلم الكونفدرالي الركبة التي بقيت على أعناق الأميركيين الأفارقة ليس فقط لمدة ثماني دقائق و46 ثانية، وهو الوقت الذي قضى فيه ديريك تشوفين في سحق حياة جورج فلويد، ولكن لمدة 401 عام.

إنَّ استسلام «روبرت لي» لم ينهِ شيئًا، لأنّ الأمّة لم تبدأ حتى في التعامل مع التفوّق الأبيض، فقد خُنِقَت إعادة الإعمار في مهدها، ولم تتمّ محاولة المصالحة العرقيَّة الحقيقية حتى، ولم يتم نصب تمثال رئيس الكونفدراليَّة الجنوبيَّة خلال

(1) قائد عسكري كبير توفي 1870م، قاد جيش القوات الكونفدراليَّة في الحرب الأهليَّة الأمريكيَّة، وهو واحد من مشاهير «أبطال» الأمَّة الأمريكيَّة.

(2) قائد عسكري، وصار لاحقًا الرئيس الثامن عشر للولايات المتحدة الأمريكيَّة في الفترة من 1869إلى 1877.

**تُستمدّ العنصريَّة ضد السود في أميركا جذورها من موقف «الرجل الأبيض» المتعالي، ليس تجاههم فقط، لكن إزاء كامل دول القارة السمراء التي وصفها يومًا الرئيس دونالد ترامب بـ«دول القذارة»، وبالتالي ينطبق هذا الوصف آليًا على غيرها من الدول، في آسيا وأميركا اللاتينيَّة**

الحرب الأهليَّة، جيفرسون ديفيس في ريتشموند، الذي أسقطه المتظاهرون ليلة الأربعاء، الذي مثّل حتى عام 1907 كلَّ آثار القضيَّة المفقودة تقريبًا، تم بناء هذا التمثال خلال الحقبة الانتقاميَّة، عندما كان البيض الجنوبيّون يحتفلون بهيمنتهم المستعادة على الأميركيّين الأفارقة عبر قوانين «جيم كرو« القمعيَّة وإرهاب حركة «كو كلوكس كلان» اليمينية المتطرفة.

يتذكر الكثيرون أنّ العلم الكونفدرالي في ولاية كارولينا الجنوبيَّة قد أُزيل في عام 2015 بعد مذبحة بحق تسعة من المصلين الأميركيّين من أصل أفريقيّ من قبل متعصّب أبيض في كنيسة في تشارلستون. قلّة يدركون أن العلم العنصريّ قد تم تثبيته في مقرّ الدولة ليس في عام 1861 ولكن بعد ذلك بقرن، في عام 1961، عندما كان السود الكاروليّنيّون يثورون من أجل حق التصويت.

أثار مقتل فلويد لحظة وطنيَّة في الحساب مع عنف الشرطة والتفوق الأبيض. لكن موقف إدارة ترامب هو أنّ العنصريَّة النظاميَّة لا وجود لها حتى، فمشاكلنا العرقيَّة غير المفحوصة والتي لم تتم معالجتها جميعًا يتم خفضها إلى «حالات فاسدة» قليلة هنا وهناك ربما في محاولة لكسب ميزة سياسيَّة. وربما، كما يشير الكثير من الأدلّة، لأنّ هذا ما يعتقده حقًا، استخدم ترامب هذه اللحظة إلى جانب التفوّق الأبيض في «القضيّة الضائعة» تبدو تغريداته مثل جورج والاس عندما كان حاكم ولاية ألاباما. ويذكّرني مطلبه بردّ عسكري على الاحتجاجات بـ«وول كونور»، مفوض برمنغهام للسلامة العامّة الذي هاجم المتظاهرين الحقوقيّين غير العنيفين بخراطيم المياه والكلاب الشريرة.

وعندما تمّ الإبلاغ عن أنّ مسؤولي الجيش رفيعي المستوى منفتحون على تجريد أسماء الجنرالات الكونفدراليّين من المواقع العسكرية، ردّ ترامب على الفور وغرّد أنّه «لن يفكر حتّى في إعادة تسمية هذه المنشآت العسكرية الرائعة والأسطوريّة». وادّعى ترامب، بشكل مثير للسخرية، أنَّ هذه الأسماء هي إلى حد ما جزء من «تاريخ الانتصار والنصر والحريَّة».

قد يكون ترامب جاهلًا تاريخيًّا بما يكفي لعدم معرفة أن الجنرالات المعنيّين كانوا خونة مشهورين بالمعارك التي خسروها مثل أيّ من انتصاراتهم. فالانتصار النهائي كان للاتّحاد، وليس الكونفدراليَّة؛ وكان الهدف من التمرّد هو حرمان الأميركيّين الأفارقة من الحريَّة، أو قد يعرف هذه الحقائق ولكنه يعتقد أن قاعدته السياسيَّة لا تعرف.

## 5. ذي نيويوركر

### أميركا على شفا الوقوع في حرب أهلية
### مؤرخون وخبراء وكُتاب يؤكدون نشوبها بشكل جديد..

هذه مقالة كتبتها الصحافية «روبن رايت» في 20 آب 2017. وهي تتصَّل بالأحداث العنصريَّة التي وقعت في ولاية فرجينيا، وغيرها من الولايات، في ذلك العام، وهي أحداث تأتي في سياق ما يجري اليوم في الولايات المتّحدة.

تقول رايت بعد يومٍ من الاشتباكات والوحشية العنصريَّة وحالات الوفاة في ولاية فرجينيا الأميركيَّة، تساءل حاكم الولاية تيري ماكوليف: «كيف وصلنا إلى هذا الحد؟». يكمن السؤال الأكثر أهميةً بعد أحداث مدينة تشارلوتسفيل الأميركيَّة، وغيرها من الأحداث القاتلة في مدن فيرغسون، وتشارلستون، ودالاس، وسانت بول، وبالتيمور، وباتون روغ، والإسكندرية الأميركيَّة، في المصير الذي تُساق إليه الولايات المتّحدة.

**أنَّ الولايات المتّحدة تواجه خطر نشوب حرب أهلية بنسبة 60% في غضون فترةٍ تتراوح بين الأعوام العشرة والخمس عشرة المقبلة. وتراوحت توقّعات خبراءٍ آخرين بين 5% و95%. وبلغت نسبة الإجماع الواقعي 35%؛ وكان ذلك قبل 5 أشهرٍ من حادثة تشارلوتسفيل**

تتساءل الكاتبة الأميركيَّة، في مقالتها، عن مدى هشاشة الولايات المتّحدة، ذلك البلد الذي لطالما اعتُبِر الديمقراطية الأكثر استقراراً في العالم! حيث الأخطار صارت الآن أكبر من مجرّد مجموعة حوادث عنف. وتنقل رايت عن مركز قانون الحاجة الجنوبي أنّ «اليمين المُتطرِّف حقّق نجاحاتٍ في دخول المجال السياسي العام في سنة واحدة أكثر مما حقَّقه على مدار نصف قرن». وقد وثِّق المركز بروز أكثر من 900 مجموعة كراهيَّة في الولايات المتّحدة.

تحدّثت رايت مع «كيث ماينز» عن اضطرابات أميركا. ماينز الذي خدم في القوات الخاصّة التابعة للجيش الأميركي، وعمل في منظّمة الأمم المتّحدة، وفي وزارة الخارجيَّة، أمضى جلّ وقته في إجراء أبحاثٍ عن حروبٍ أهليَّة حصلت في بلدان أخرى، وعاد إلى واشنطن بعد 16 عامًا ليجد أنَّ الظروف التي كان يراها تؤجج النزاعاتٍ في الدول الأخرى ظاهرةٌ الآن في وطنه، وصار هذا هاجسًا يطارده».

وتضيف الكاتبة الأميركيَّة «في مارس/آذار الماضي كان ماينز واحدًا من عدة خبراءٍ في الأمن الوطني الذين طلبت منهم مجلة فورين بوليسي الأميركيَّة تقييم مخاطر نشوب حربٍ أهليَّة ثانية في الولايات المتّحدة- بالنسب المئويَّة. ليستنتجَ ماينز أنَّ الولايات المتّحدة تواجه خطر نشوب حرب أهلية بنسبة 60% في غضون فترةٍ تتراوح بين الأعوام العشرة والخمس عشرة المقبلة. وتراوحت توقّعات خبراءٍ آخرين بين 5% و95%. وبلغت نسبة الإجماع الواقعي 35%؛ وكان ذلك قبل 5 أشهرٍ من حادثة تشارلوتسفيل».

### حروب أهليّة من نوع جديد

تقول رايت إنّ من الجديرِ بالذكر أنَّ نمط النزاعات الأهليَّة قد تطوَّرَ في جميع أنحاء العالم على مدار الستين عامًا الماضية. ففي العصر الحالي، صار عددٌ قليل من الحروب الأهلية يتضمَّن معارك مُنظَّمة بين مجموعاتٍ مُرابطة في الخنادق على طول خطوط الجبهة الجغرافية البرية، وأصبح الكثير منها اشتباكاتٍ منخفضة الحدة مع أحداث عنفٍ عرضية في المناطق المتأججة باستمرار. وتنقل عن ماينز تعريفه الحرب الأهلية بأنَّها «عنفٌ واسع النطاق يتضمَّن رفض السلطة السياسيَّة التقليدية، ويقتضي تعامل الحرس الوطني معه»، وكان ماينز كتب في مجلة فورين بوليسي الأميركيَّة أنَّ الرئيس الأميركي ترامب «جعل العنف وسيلةً نموذجية لإحراز انتصارات سياسيَّة، وأجاز البلطجة أثناء حملته الانتخابية وبعدها. وانطلاقاً من الأحداث الأخيرة، صار اليسار جزءاً لا يتجزأ من ذلك».

ولاختبار مدى صحّة تقدير ماينز، تواصلت الكاتبة رايت مع مؤرِّخين بارزين للحرب الأهلية. أخبرتها جوديث جيزبرغ، المُحرِّرة بمجلة حقبة الحرب الأهلية Journal of the Civil War Era والمؤرِّخة بجامعة فيلانوفا:

«إذا نظرتِ لخريطة الولايات الحمراء والزرقاء (الجمهوريين والديمقراطيين على الترتيب) وقارنتِها بخريطة الحرب الأهلية - أي مَن تحالف مع أيّ جانب في الحرب الأهلية - ستجدين أنَّ القليل قد تغيَّر منذ ذلك الوقت حتى الآن».

**إذا نظرتِ لخريطة الولايات الحمراء والزرقاء (الجمهوريين والديمقراطيين على الترتيب) وقارنتِها بخريطة الحرب الأهلية - أي مَن تحالف مع أيّ جانب في الحرب الأهلية - ستجدين أنَّ القليل قد تغيَّر منذ ذلك الوقت حتى الآن**

وأضافت: «نحن لم نتَّفق قط على نتيجة الحرب الأهلية الأميركيَّة والاتجاه الذي وجب أن تتَّخذه البلاد حينئذٍ. إذ كانت التعديلات الدستورية إبان الحرب

محل خلافٍ شديد - خاصةً التعديل الدستوري الرابع عشر، الـذي يضمن حماية متساوية تحت مظلَّة القانون - وما زال الخلاف عليها قائماً حتى يومنا هذا. ما معنى أن نمنح حق التصويت لغير البيض؟ لا نعلم حتى الآن».

**إنَّ النظائر والمتشابهات خطيرة دومًا، لكنَّ لدينا بالفعل مؤسساتٍ ضعيفة، وأحزابًا ليست فقط مُستقطَبة بل تخاطر بتفكيك المجتمع**

وتوضح الكاتبة رايت أنَّ قلق العامة تجاه الشقاق الآخذ في التعمُّق واحتمال نشوب نزاعٍ جديد يجد مُتنَفَسًا له في الثقافة الجمعيَّة، ففي أبريل/نيسان (2017) اختار موقع أمازون للتسوُّق الإلكتروني رواية الدستوبيا[1] American War التي تدور أحداثها حول قيامِ حربٍ أهلية ثانية، كأحد أفضل الكتب المعروضة للبيع في ذلك الشهر.

وفي عرضٍ للرواية في صحيفة واشنطن بوست الأميركيَّة، كتب رون تشارلز: «عبر صفحات هذه الرواية الملأى بالندوب تندلع اشتباكاتٌ يتوقَّع الكثيرون بيننا حدوثها بقلقٍ جمّ في عهد ترامب، أمّةٌ تُمزِّقها أيديولوجياتٌ متضاربة، وتُغرِّبها شكوكٌ راسخة.. إنَّها روايةٌ مُؤثِّرة ومُرعِبة في الوقت ذاته».

ووَرَدَ في عرضِ للكتاب في صحيفة نيويورك تايمز: «إنّه عملٌ من نسج الخيال. على الأقل هو كذلك في الوقت الحالي».

وقبل وقوع أحداث تشارلوتسفيل، كان ديفيد بلايت، وهو مؤرِّخٌ بجامعة ييل الأميركيَّة، يُخطِّط لإقامة مؤتمرٍ في نوفمبر/تشرين الثاني المقبل عن «الانفصال الأميركي، سابقاً والآن»، يقول بلايت: «إنَّ النظائر والمتشابهات خطيرة دومًا، لكنَّ لدينا بالفعل مؤسساتٍ ضعيفة، وأحزابًا ليست فقط مُستقطَبة بل تخاطر بتفكيك

(1) الدستوبيا (عكس اليوتوبيا): نوع روائيّ يتخيَّل واقعاً بديلًا أكثر قتامة وفوضى.

المجتمع، وهو ما حدث في خمسينيات القرن التاسع عشر. على مدار 15 عامًا، مزَّقَت قضية العبودية أكبر حزبَين سياسيَّين بالبلاد. إذ دمَّرَت حزب اليمين حزب ويغ Whig Party الذي حلَّ محله الحزب الجمهوري، وقسَّمت الحزب الديمقراطي إلى قسمين: شمالي وجنوبي».

وأوضح بلايت أنَّه بخلاف ما كان عليه الرأي العام في ستينيات القرن الماضي، فقد دَفَعَ إضعاف المؤسسات السياسيَّة الأميركيين لتبديل آرائهم عن أيّ المؤسسات هيَ الآن ذات مصداقية. وقال: «فيمَن نضع ثقتنا اليوم؟ ربما، على نحوٍ مثير للسخرية، نثق بمكتب التحقيقات الفيدرالي. ففي ظل وجود كُل هؤلاء الرجال العسكريين في إدارة ترامب، نضع ثقتنا بالإف بي آي لاستخدام المنطق. ليس الرئيس. وليس الكونغرس، فهو كيانٌ مختلٌّ وظيفياً بشكلٍ كليّ ويديره رجالٌ قضوا أعوامًا يحاولون التفرقة بيننا لإحكام قبضتهم على السلطة، وليس حتى المحكمة العليا، لأنّها أصبحت مُسيَّسة».

ويشكِّك إريك فونر، المُؤرِّخ بجامعة كولومبيا، والحاصل على جائزة بوليتزر للصحافة عام 2011 عن كتابه المحاكمة النارية: أبراهام لينكون والعبودية الأميركيَّة»، مثله مثل غيره من الباحثين ممّن تحدثت الكاتبة الأميركيَّة رايت معهم، بأنَّ أيّ نزاعٍ مستقبليّ سيشبه الحرب الأميركيَّة الأهلية الأخيرة.

يقول فونر في حديثه لصاحبة المقال: «من الواضح أنّنا نشهد انقساماتٍ عميقة على جبهاتٍ عدة: عرقيَّة، وأيديولوجية، وقروية في مواجهة مدينيّة، لكن ما إن كانت تلك ستؤدي إلى حربٍ أهلية، أشك في ذلك. إذ لدينا قوى جاذبة مؤثرة توازن تأثير ما نراه يحدث اليوم».

## 6. ناشيونال ريفيو

### الحضارة الأميركيَّة هشّة في جوهرها[1]!
### لا مفر من اندلاع ثورة مضادة لأن الولايات المتّحدة لن تصمد من دون ثورة مماثلة.

يهاجم كاتب المقالة فيكتور ديفيس هانسون اليساريين، الذين يصفهم بالعصابة اليسارية المختلّة والحاقدة، ومن يسميهم الرعاع الذين يحطّمون تماثيل كل من يمثّل تاريخ أميركا. ويقول إنّ مدينة نيويورك كانت، منذ تسعة أشهر، مدينة عالمية مزدهرة رغم سوء الحكم فيها. كانت تتكل على الأداء المتفاوت لآخر اثنين من رؤساء بلديتها ودورها التقليدي كمعقل عالمي للمال والرساميل. لكن أصبحت هذه المدينة اليوم أشبه بفيلمٍ عن نهاية العالم في زمن ما بعد الحقبة المعاصرة، وكأنها خرجت للتو من انفجار قنبلة نيوترونية. الوضع، بحسب الكاتب، مشابه في مدن مينيابوليس وبورتلاند وسياتل وسان فرانسيسكو، ولو بدرجات متفاوتة.

يقول هلانسون إنّه خلال العام 2019، كان الأميركيون المتسامحون يتقبلون بدرجة معيّنة الفكرة القائلة إن تماثيل الأبطال جزء من التاريخ حتى لو كانوا غير مُلهِمين أو محقين بنظر البعض. لكن تعمد مجموعة طائشة من الرعاع، بتغطية غير مباشرة من المؤسسات السياسيَّة المرعوبة التي تحاول استرضاءها، إلى تدمير أكبر عدد ممكن من رموز التاريخ الأميركي بطريقة منهجية ومن دون حسيب أو رقيب. ظن الأغبياء في النخبة الحاكمة من المعسكرَين الجمهوري والديموقراطي في البداية أن حملة تحطيم التماثيل كانت انتقائية ومنطقية ومدروسة. لكنها ليست كذلك. لم يكن الهدف يتعلق يوماً بتسليط الضوء على ذنوب أصحاب العبيد القدامى، أو الأوروبي الذي اكتشف الولايات المتّحدة، أو كاتب رواية «دون

---

(1) National Review, The Thin Veneer of American Civilization, Victor Davis Hanson, 11August 2020.

كيشوت»، ولم تهدف تلك الحملة أيضاً إلى إسقاط الأشرار واستبدالهم بمسؤولين صالحين، بل أرادت تدمير وتشويه معظم الشخصيات التي تمثّل الولايات المتّحدة، بدءاً من فريدريك دوغلاس ويوليسيس إس. غرانت وصولاً إلى لينكولن وأبطال الحرب العالمية الثانية من أمثال تشرشل.

وفق استراتيجية معسكر اليساريين، يمكن استهداف أعداء اليوم بسهولة إذا تمكنوا من شن الحرب على التماثيل البرونزية والحجرية العائدة إلى شخصيات الماضي من دون مواجهة أي عواقب في ظل تصاعد مظاهر الخوف والرعب بين الناس. كل من يحرق الكتب، بما في ذلك الكتاب المقدس، أو يخرّب النصب التذكارية أو يشوّه المباني الحكومية أو يُسقِط التماثيل ليلاً من دون التعرض للمحاسبة لن يتوانى عن تطبيق هذا النوع من أعمال العنف ضد أشخاص حقيقيين في الزمن الحاضر.

تشكّل مدينة بورتلاند خير مثال على ذلك، إذ يحاول أبناء الطبقة الوسطى المدللون هناك إشعال مركز للشرطة كل ليلة لإحراق الضباط المحصّنين في الداخل. وفي شيكاغو أيضاً، يستهدف اللصوص متاجر راقية ويطلقون شعارات عن العدالة الاجتماعية.

في الماضي، كانت محاولة إشعال محكمة فدرالية تستدعي سجن المرتكبين لسنوات وما كان أحد ليفكر باحتلال مساحة واسعة من وسط المدينة. لكنّ الوضع مختلف اليوم. في الوقت الراهن، قد يدخل الناس إلى السجن إذا أعادوا فتح النوادي الرياضية التي تتطلب استعمال الأقنعة وتطبيق إجراءات التباعد الاجتماعي والتنظيف الدائم بالمُطهّرات. لكن لن تُسجَن الحشود التي تجتمع للقيام بأعمال شغب من دون وضع أي أقنعة وتستخدم بطانات موقّتة ومظلات وخوذات لحماية نفسها. ويستطيع أيٌّ كان أن يصرخ ويرشّ الرذاذ على وجوه الضباط واللصوص ومثيري الشغب الآخرين.

**لا مفر من اندلاع ثورة مضادة لأن الولايات المتّحدة لن تصمد من دون ثورة مماثلة**

تعكس هذه التطورات مرحلة صعبة تشبه بأحداثها «حركة اليعاقبة» الثورية، لكننا لا نعرف بعد كامل نطاق الثورة المضادة التي تستطيع إضعاف أعمال العنف في الشوارع وزيادة الأعباء على كل طرف ساهم في تقويتها. لا مفر من اندلاع ثورة مضادة لأن الولايات المتّحدة لن تصمد من دون ثورة مماثلة.

من المعروف أن 250 مليون شخص تقريباً يحبون الولايات المتّحدة بالوضع الذي كانت عليه قبل 1 آذار وهم لن يتخلوا عنها بسهولة مهما زادت المصاعب المطروحة. في النهاية، لا تنتمي واشنطن ورمزية لينكولن إلى عصابة يسارية مختلّة وحاقدة على الولايات المتّحدة لمجرّد أنها غاضبة من نفسها. يعارض الشعب معظم التكتيكات المستوحاة من «حركة اليعاقبة»، بدءاً من وقف تمويل الشرطة وصولاً إلى الاعتداءات العنيفة على أملاك الدولة. هم لا يعتذرون عن ماضيهم ولا حاضرهم.

من الواضح أن جيل الستينات يتصرّف بالطريقة التي اعتاد عليها، فيختار أسلوباً فظاً وصاخباً وجباناً ويعمد إلى تدمير المؤسسات التي استغلها بكل أنانية لمصلحته الخاصة يوماً. إذا أردنا أن نعرف ما يجعل قشرة الحضارة الأميركيَّة رقيقة جداً (لقد خُدِشت بسهولة خلال هذه السنة وكشفت عن همجية كامنة)، يكفي أن ننظر إلى جيلٍ من المهندسين في الجامعات ووسائل الإعلام وعالم الرياضة والسياسة والمؤسسات: كان هؤلاء يحضّرون أسلحتهم الثقافيَّة منذ وقتٍ طويل، وهم يترنحون الآن لأنهم نجحوا في استعمالها أخيراً، لكنهم يشعرون في الوقت نفسه بالرعب لأن صدى تفجيراتهم يقترب منهم يوماً بعد يوم.

## 7. «المعهد الأوستراليّ للسياسة الاستراتيجيّة» بالتعاون مع «بروجكت سنديكيت»

### أميركا والعالم: ما هي المخاطر العالميّة للانتخابات الأميركيَّة[1]؟

افتتح وزير الخارجيّة الألمانيّ السابق زيغمار غابريال مقاله الذي نشره «المعهد الأوستراليّ للسياسة الاستراتيجيّة» بالتعاون مع موقع «بروجكت سنديكيت» عبر المقارنة بين رواية جول فيرن «حول العالم في ثمانين يوماً» من جهة، والأيام الثمانين ( (منذ تاريخ كتابة المقال في 2020/8/20) التي تفصل العالم عن الانتخابات الرئاسيّة الأميركيَّة من جهة أخرى.

يرى غابريال أنّه بعكس رواية الكاتب الفرنسيّ، ستكون رحلة العالم خلال الأيّام الثمانين الآتية أقرب إلى مشقّة منها إلى مغامرة. لكنّها ستبلغ ذروتها في حدث ذي تأثير عالميّ وتاريخيّ. ستُجري الولايات المتّحدة انتخاباتها الرئاسيّة التاسعة والخمسين، ولأنّ الولايات المتّحدة أقوى اقتصاديّاً وعسكريّاً من أبرز منافسَين مجتمعَين (روسيا والصين)، دائماً ما تكون انتخاباتها مهمّة على المستوى العالميّ. لكن لم يسبق قط أن فرضت انتخابات رئاسيّة تهديداً حادّاً كهذا على سائر دول العالم، وفقاً لغابريال.

لا شكّ بالنسبة إلى الكاتب في أنّ إعادة انتخاب الرئيس دونالد ترامب ستفرض خطراً على الولايات المتّحدة والعالم. هنالك أسباب كثيرة للخوف من أن تؤدّي انتخابات متقاربة إلى دفع الولايات المتّحدة باتّجاه أزمة دستوريّة عميقة ومطوّلة وربّما باتّجاه عنف أهليّ، فإذا ما أمّن ترامب فقط انتصاراً في المجمع الانتخابيّ وخسر في التصويت الشعبي، كما حصل سنة 2016، فمن غير المرجّح أن يقبل منافسه جو بايدن أو غالبيّة الأميركيّين نتيجة الانتخابات كما فعلت هيلاري كلينتون منذ

(1) Project Syndicate Logo, The Global Risks of the US Elections, Sigram Gabriel, 26August 2020.

أربع سنوات أو كما فعل آل غور سنة 2000. وإذا تدخّلت المحكمة العليا مجدّداً لاختيار الفائز مثلما فعلت منذ عشرين عامًا حين اختارت جورج بوش الابن عوضاً عن آل غور، فإنّ اندلاع تظاهرات وطنيّة شاملة يبدو شبه مؤكّد. ردّاً على ذلك، سيكون شبه مؤكّد أيضاً إطلاق ترامب قوات إنفاذ القانون كما سبق أن فعل في بورتلاند ومدن أخرى.

تابع غابريال كاتباً أنّه وبسبب تقدّم بايدن المستمرّ على ترامب في استطلاعات الرأي، يمكن أن يحاول الرئيس الحالي استخدام جائحة كوفيد-19 كحجّة لتأجيل الانتخابات أو إفسادها. لقد أمضى ترامب الصيف محاولاً تشويه عمليّة التصويت عبر البريد في جهد لنزع الشرعيّة مسبقاً عن انتخابات الثالث من تشرين الثاني.

على الرغم من أنّ هذه التحرّكات قوبلت بمقاومة قويّة، يمهّد ترامب الأرضيّة لتعبئة مناصريه والتمسّك بالبقاء في البيت الأبيض بغضّ النظر عن نتيجة الانتخابات. أضاف غابريال أنّ أعمال الشغب والنهب من النوع الذي شهدته بورتلاند وشيكاغو ستساعد ترامب على المستوى السياسي وهو في طور تنفيذ هذه الاستراتيجية. لقد كان مستعدّاً لنشر قوّات وزارة الأمن الداخليّ لإخافة مجموعات صغيرة نسبياً من المتظاهرين وغالبيّتهم محتجّون سلميّون. النتيجة المتوقّعة وربّما المقصودة كانت توسّعَ التظاهرات وتصعيد العنف. رسالة ترامب إلى الطبقة الوسطى من سكان الضواحي البيض واضحة: هنا رئيس يحافظ على القانون والنظام.

أشار غابريال إلى أنّ استخدام الموارد الفيديراليّة لإخافة السكان يغذّي سرديّة ترامب بأنّه لا يمكن تنظيم انتخابات نزيهة وهادئة من دون أن يتمّ التلاعب بها من قبل خصومه. إنّ صوراً لميليشيات يمينيّة مسلّحة بشدّة تظهر وسط تظاهرات سلميّة هي نذير لما ينتظر البلاد.

هذه النسخة من الولايات المتّحدة، والتي امتدّت انقساماتها الداخليّة بشكل متزايد إلى سياستها الخارجيّة، هي ربّما أعظم تهديد أمنيّ يواجه العالم اليوم، بالنسبة إلى غابريال. في وقت تزداد المخاطر العالميّة، بدءاً من الجائحة والتغيّر المناخيّ وصولاً إلى الانتشار النوويّ والتجرّؤ الصينيّ والروسيّ، إنّ انهياراً سياسيّاً للولايات المتّحدة قد يكون في نهاية المطاف عاملاً مضاعفاً للتهديد. فأميركا هي ببساطة أهمّ اقتصاديّاً وسياسيّاً وعسكريّاً من أن تأخذ استراحة، أو أسوأ، من أن تصبح مفسداً لا يمكن التنبّؤ به في النزاعات الدوليّة، بسبب حاجة حكومتها إلى حصر اهتماماتها بجمهور انتخابيّ ضيّق.

هذه النسخة من الولايات المتّحدة، والتي امتدّت انقساماتها الداخليّة بشكل متزايد إلى سياستها الخارجيّة، هي ربّما أعظم تهديد أمنيّ يواجه العالم اليوم

أمِل غابريال أن تُظهر النتيجة فوزاً حاسماً على مستوى المجمع الانتخابيّ والعدد الإجماليّ للأصوات. لكن حتى في هذه الحالة، قد يستغرق فرز النتيجة النهائيّة بعض الوقت بسبب الزيادة الكبيرة المتوقعة في التصويت عبر البريد. كلّ بطاقة اقتراع مختومة في أو قبل 2 أو 3 تشرين الثاني (بحسب كلّ ولاية) ستُعتبر صالحة، وهذا يعني أنّ النتيجة النهائيّة لن تصدر قبل اليوم التالي على الانتخابات. خلال هذه النافذة من اللايقين، ستحاول واحدة أو كلتا الحملتين إعلان الانتصار بناء على الفرز الجاري للأصوات.

ويتوقّع غابريال ألّا يكون هنالك فرصة في أن ينتظر ترامب داخل البيت الأبيض بهدوء النتيجة الانتخابيّة طوال أيام أو أسابيع. خلال المقابلات أصدر تصريحات غامضة تقترح أنّه لن يغادر البيت الأبيض في حال الخسارة. إذا نفّذ هذه الخطوة، فستجد القوّة العظمى نفسها في مواجهة أزمة دستورية طويلة المدى وربّما معقّدة على الحل.

وختم غابريال مقاله معترفاً بارتكاب التحالف الغربي المكوّن من الدول الصناعيّة العديد من الأخطاء خلال السنوات الأخيرة والتي قوّضت سمعته الدولية. لكنّ الانتخابات الحرّة والنزيهة هي أهمّ مؤسّسة جوهريّة تضمن جاذبيّة الغرب الواسعة. إذا لم يعد الزعيم الفعليّ السابق للغرب قادراً على التمسّك حتى بهذا المبدأ، فهنالك احتمال جدّيّ في أن يعتمد سائر العالم أنظمة سياسيَّة أخرى.

## 8. ديويتشه فيلله

## انقسام مجتمعي و«عسكرة» وبوادر حرب أهلية.. أميركا على صفيح ساخن[1]

### رعب من سيناريو هزيمة ترامب

يقول موقع دويتشه فيلله الألماني المعروف إنّ الكثيرين يلقون باللوم على ترامب في ما تشهده أميركا من انقسام مجتمعي يكاد يصل إلى حافة الحرب الأهلية، وفي التعامل العنيف للشرطة مع المتظاهرين، والفشل في إدارة أزمة كورونا.. لكن الغضب المتصاعد في أميركا له جذور أعمق من ذلك.

ثماني دقائق وست ثوان كانت هي المدة التي استغرقها الضابط ديريك تشوفين ليزهق روح المواطن الأمريكي من أصول إفريقية جورج فلويد.. هذه الدقائق كانت كافية تماماً لتنقلب أميركا رأساً على عقب، ويرى العالم مشاهد لم يكن يتصور أن يرى مثلها في أحد أكبر معاقل الديمقراطية.

قِصَرُ تلك الدقائق التي استغرقتها حياة فلويد لتزهق، وضخامة الأحداث التي وقعت بعدها تؤكد على أمر واحد وهو وجود احتقان داخلي كبير تراكم على مدى

---

(1) موقع دي دابيليو، انقسام مجتمعي و«عسكرة» وبوادر حرب أهلية.. أمريكا على صفيح ساخن، 4-6-2020.

عقود طويلة، يغذيه يمين متطرف ونظام عدالة لا يكفي لإحداث الردع الشامل عن ارتكاب جرائم العنصريَّة.

وفيما يبدو من الأحداث فإن هذه ليست «انتفاضة سود» وحسب، وإنما هي اعتراض من قطاعات واسعة من الأمريكيين على الكثير من الأمور لعل أهمها الفشل الذريع للإدارة الحالية في التعامل مع جائحة كورونا، إلى جانب نسب بطالة مرتفعة مع احتجاج بلغ اوجه من تعامل الشرطة الأمريكيَّة العنيف، وحالات القتل التي تنتهي بفصل الضابط القاتل أو تغريمه وصولاً إلى الأحكام القضائية المخففة.

**انقسام مجتمعي**

لم يكن وصول باراك أوباما كأول رئيس أمريكي من أصول إفريقية إلى الحكم في الولايات المتّحدة أمراً جيداً لدى البعض ممن يكرهون الآخر - غير الأبيض/غير الأمريكي/ المهاجر/ الخ.. - حتى وإن كان أوباما هو مجرد وجه أسمر لأفكار وقيم الرأسمالية الأمريكيَّة العتيدة التي أصبحت نهجاً صريحاً للإدارة السياسة على الأقل منذ عهد رونالد ريغان، ليتعزز مع الوقت تمايز حاد بين تيارين في الولايات المتّحدة الأمريكيَّة هما نفسيهما يعانيان من انقسامات داخلية: يمين متطرف ويسار يبدو في طريقه إلى ذلك.

ومع انسحاب الاشتراكي المخضرم بيرني ساندرز من سباق الانتخابات بدا نجم الحركات اليسارية الاحتجاجية يتصاعد في مواجهة يمين متطرف، لتظهر على سطح الأحداث الأخيرة التي أعقبت مقتل جورج فلويد حركة أنتيفا(1) في مقابل تصريحات

(1) ANITFA: حركة معادية للفاشيَّة واليمين المتطرّف والرأسماليَّة وكلّ من يستهدف المهمّشين والأقليّات، تأسَّست قبل الحرب العالميَّة الثانية مع بداية ظهور النازيَّة والفاشيَّة وانتشرت في عدَّة دول حول العالم ولا تؤمن بإصلاح السياسات وإنَّما بالفعل المباشر والعنف لتعديل المسار. وترى الحركة أن أفكارًا كالنازيَّة والفاشيَّة لم تكن لتظهر وتنتشر إلا بسبب عدم وجود ردود فعل قويَّة وعنيفة بما يكفي لوقف انتشار مثل تلك الأفكار

على شبكات التواصل الاجتماعي لأنصار ترامب أبدى بعضهم خلالها استعداداً تاماً للنزول إلى الشوارع وإنهاء حركات الاحتجاج خلال 24 ساعة في تهديد واضح باستخدام القوة، تهديد تلقاه الجميع بقلق شديد تزامن مع تصاعد نبرة الحديث للتيار اليميني في وسائل الإعلام ،كما يظهر من تصريحات جاريد تايلور محرر مجلة «النهضة الأمريكيَّة» ذات التوجه العنصري.

وبعد أن كانت أميركا هي بوتقة انصهار الثقافات والمعارف المختلفة للمهاجرين، تضاءلت اللحمة الاجتماعية وتعاظم الانقسام المجتمعي وأصبح العدو داخلياً مع تصاعد الخطاب العنصري والذي يُتهم ترامب بشكل أساسي أنه المتسبب فيه، إلى جانب عوامل متعددة ساهمت في تراجع تأثير الطبقة الوسطى المتعلمة التي كان يعول عليها أي مرشح للرئاسة في مقابل تنامي التطرف اليميني.

تزامن ذلك مع تصاعد الاتهامات للشرطة الأمريكيَّة برفع مستوى العنف في مواجهة الاحتجاجات إلى مستويات غير مسبوقة أصابت حتى كبار السن والأطفال، كما تعرض الصحفيون لانتهاكات شديدة قارنها البعض بما يحدث لزملائهم في الشرق الأوسط، انتهاكات لم يسلم منها حتى فريق دويتشه فيله.

تخلل الاحتجاجات المتصاعدة جانب من العنف والسرقة والاعتداءات، اتهم ترامب حركة أنتيفا ANTIFA اليسارية بالضلوع في القيام بها وتحريض الناس على ارتكاب مثل هذه الجرائم موجها الاتهامات إليها- وإلى «اليسار الراديكالي» بـ» إثارة الفتن والوقوف خلف حركة الاحتجاجات»، ومهدداً بتصنيف الحركة المناهضة للفاشية كـ«منظمة إرهابية محلية»، ويخشى مراقبون من أن تهديد ترامب بإعلان انتيفا «جماعة إرهابية» قد يمهد لمكارثية[1] جديدة في الولايات المتّحدة يتم على إثرها إطلاق حملة اعتقالات ضخمة تضم كل من يكرهه

(1) نسبةً إلى السيناتور الجمهوريّجوزيف مكارثي، وهي حقبة الخمسينات التي تمّ خلالها ملاحقة الخصوم السياسيّين بتهمة الشيوعيَّة حتّى من دون دليل.

ترامب أويخشاه، لتتكرر كارثة المكارثية التي أخذ المجتمع الأمريكي وقتاً طويلاً ليتعافى من تبعاتها.

**فرص فوز ترامب، ورعب من سيناريو هزيمته!**

في ضوء كل ما سبق، تبدو احتمالات فوز ترامب بالانتخابات الرئاسية المقررة في نوفمبر المقبل غير كبيرة، فهناك أزمات اقتصادية وبطالة وفشل في إدارة أزمة كورونا أودى بحياة الآلاف، على أن الأخطر من كل ذلك هو مجتمع يشهد انقساماً كبيرا ويبدو وكأنه على شفا حرب أهلية.

على الجانب الآخر، لا تبدو خسارة ترامب أيضا بالأمر المبشر بالخير، فهناك أصوات متصاعدة في الداخل الأمريكي تحذر من رفض ترامب للاعتراف بهزيمته في الانتخابات، والإدعاء بأنه تم تزويرها، حيث استبق ترامب الأحداث وحذر من لجوء بعض حكام الولايات «الديمقراطيين» من اعتماد أسلوب التصويت عبر البريد الذي قرره بعضهم للحد من انتشار فيروس كورونا.

فبحسب مقال للكاتب برايان كلاس في صحيفة واشنطن بوست، فإنه من الصعب تصور قبول ترامب للهزيمة وتهنئته للفائز بمنصب الرئيس، وفي الغالب فإنه سيعتمد استراتيجية التشكيك في شرعية الخصوم السياسيين، ما قد يهدد الانتقال النقل السلمي للسلطة والذي يقوم عليه أساس النظام السياسي الأمريكي.

## 9. نيويورك تايمز

### «النموذج الأمريكي».. هل بدأ في التصدع؟[1]

يرى كاتب المقالة تشارلز بلو، أن «فكرة» أمريكا التي تبناها معظم الأمريكيين

---

(1) The Salt Lake Tribune, America- the idea- is lost, Charles M. Blow, 28January 2020.
ترجمة صحيفة الاتّحاد الإماراتيَّة.

- فكرة دمقراطية ناجحة ومسؤولة ومتجاوبة مع مواطنيها الذين يحق لهم التصويت وتعتبر أصواتهم متساوية، قد ضاعت، بل إنها ربما لم توجد أبدا بتلك الطريقة، علماً أن الاتجاهات في المجتمع هي الآن نحو الأسوأ وليس نحو الأحسن.

يعود بلو إلى زمن مؤسسي الولايات المتّحدة الأوائل، ويذكّر بأنّ مؤسّسي هذا البلد لم يكن في نيتهم أبدا أن يصوّت الجميع، ولم يقوموا حتى بالتنصيص على الحقّ في التصويت في الدستور، بل إنّهم، بدلاً من ذلك، تركوا مسألة التصويت للولايات، التي نصبت حواجزها الخاصة بها أمام حق التصويت. وهكذا، كان الحق في التصويت يتوسع ويتقلّص مع الوقت.

في البداية، وبشكل عام، كان الرجال البيض ملاك الأراضي الأشخاصَ الوحيدين الذين يسمح لهم بالتصويت. هذا الحق توسع مع مرور الوقت ليشمل كل الرجال البيض والرجال السود والنساء. غير أنه بقيت هناك جهود لتقييد الوصول إلى مكاتب التصويت، وخاصة بالنسبة للأشخاص السود والسمر، وهي القيود التي يبدو أنّ سببها كان انتخاب باراك أوباما، أول رئيس لأميركا من أصل أفريقي، وهو ما يشير إليه «مركز برينان للعدالة»، الذي قال إن «مشرّعي الولايات على الصعيد الأمريكي بدأوا منذ انتخابات العام 2010 بإدخال المئات من التدابير القاسية التي تجعل التصويت أكثر صعوبة».

**إنّ العملية الانتخابية في أميركا أصبحت سيئة بسياسيين يسعون لمنع البعض من الوصول إلى مكاتب التصويت، وأثرياء يسعون لخداع من يصوتون وتضليلهم، بعد أن صار الفساد خاصية مقبولة في الجهاز التنفيذي، ما مثّل ضربة مدمّرة أخرى لثقة الناخبين**

ومثلما وثّق المركز، يضيف بلو، فإن «25 ولاية وضعت قيداً جديداً منذ ذلك الحين - 15 ولاية لديها الآن قوانين مقيّدة أكثر تتعلق

بهوية الناخبين، من بينها ست ولايات ذات شروط جد صارمة بشأن صورة الهوية، و12 ولاية لديها قوانين تجعل من الصعب أكثر على المواطنين التسجيل (والبقاء مسجلين)، و10 ولايات جعلت التصويت المبكر أو الاقتراع الغيابي أكثر صعوبة، و3 ولايـات اتخذت إجـراءات تزيد من صعوبة استرجاع الأشخاص الذين لديهم إدانات قضائية بسبب جرائم سابقة لحقهم في التصويت».

**مصطلح «الأمريكي» كفكرة، وكديمقراطية تمثيلية ذات سلطة مستمدة في نهاية المطاف من الشعب وخاضعة للمحاسبة من قبل الشعب، أخذت تتبدد وتختفي كالبخار**

ويكشف بلو الدور السيء الذي تلعبه التبرعات التي يجمعها المرشحون الرئاسيون في التأثير في مجريات العمليّة الانتخابية، فيرى بأنّ الأموال الكبيرة من الشركات والمرشحين أنفسهم تُفسد العملية الانتخابية وتمارس تأثيرًا كبيرًا جدًا على اختيارات الناخبين.

يقول بلودم، إنّ العملية الانتخابية في أميركا أصبحت سيئة بسياسيين يسعون لمنع البعض من الوصول إلى مكاتب التصويت، وأثرياء يسعون لخداع من يصوتون وتضليلهم، بعد أن صار الفساد خاصية مقبولة في الجهاز التنفيذي، ما مثّل ضربة مدمِّرة أخرى لثقة الناخبين.

برأي الكاتب، لقد كُسر كل شيء في الانتخابات الأمريكيَّة، انطلاقاً مِن مَن يستطيع التصويت، وكيف يصوّت، ومن يؤثر في ذاك التصويت، ومن يُنتخب في ذاك التصويت، ومن يخضعون للمحاسبة بعد أن يتم التصويت، ويخلص بلو من ذلك إلى القول بأنّ مصطلح «الأمريكي» كفكرة، وكديمقراطية تمثيلية ذات سلطة مستمدة في نهاية المطاف من الشعب وخاضعة للمحاسبة من قبل الشعب، أخذت تتبدد وتختفي كالبخار.

## 10. الأخبار

### قراءة في الاحتجاجات الأميركيّة وجذورها: ثقافة التمييز[1]

يقول زياد حافظ[2]، الذي يقيم في أميركا ويدرّس في جامعاتها منذ عقود طويلة، إنّ أحداً لا يستطيع التكهّن بما ستسفر عنه الاحتجاجات المناهضة للعنصريَّة التي عمّت المدن الأميركيَّة، ويرى أنّ من الواضح أن الولايات المتّحدة دخلت مرحلة جديدة لم تعرفها سابقاً رغم تشابه الأحداث الأخيرة بأحداث مماثلة خلال الستين سنة الماضية.

يجد حافظ أنّ التحوّلات في البنية السكّانية أدّت إلى تحوّلات في موازين القوّة السياسيَّة بين الحزبين الحاكمين في الولايات المتّحدة. والتحوّلات في البنى السياسيَّة أدّت ورافقت التحوّلات في البنية الاقتصادية. وتفاعلت هذه التحوّلات لتنتج ثقافة جديدة في منظومة القيم التي تغيّرت هي أيضاً. لكن رغم تلك التحوّلات هناك بعض «الثوابت» التي استمرّت، ومنها التمييز وثقافته. فالتمييز بشكل عام والعنصريَّة بشكل خاص موجودان في الحمض النووي للأميركي.

جميع المكوّنات تمارس التمييز وإن كان بأشكال مختلفة. أما التمييز عند الأميركي الأبيض البروتستنتي الانغلو ساكسوني، فهو أكثر ظهوراً وشراسة مما هو لدى المكوّنات الأخرى بسبب القوّة التي يمتلكها منذ حقبة استعمار القارة. هذه الشراسة في التعامل مع الآخر تعود إلى النظرة التوراتية التي أتت مع المتطهّرين الإنكليز في الربع الثاني من القرن السابع عشر. فقد اعتبروا أنفسهم «الشعب المختار» المكلّف تحقيق «القدر المتجلّي» الذي يجعلهم استثناء عن سائر البشر. قراءتهم للأسفار في العهد القديم برّرت قتل السكّان الأصليين الذين احتضنوهم

---

(1) جريدة الأخبار، قراءة في الاحتجاجات الأميركية وجذورها: ثقافة التمييز، زياد حافظ، 6 تموز 2020.

(2) كاتب وباحث اقتصاديّ سياسي والأمين العام السابق للمؤتمر القوميّ العربيّ. عاش في أميركا، ولا يزال، ودرس في جامعاتها عقودًا طويلة.

وعلّموهم زراعة الذرة التي كانوا يجهلونها. ولولا مساعدة السكّان الأصليين (أي ما سمّوهم بالهنود الحمر) لفنيت تلك الجماعات المهاجرة بسبب الجوع.

وفي حقبة التوسّع إلى الغرب استقدم المستعمرون العمّال الصينيين لبناء السكك الحديد التي لولاها لما قامت الدولة الاتحادية التي أوصلت الشرق بالغرب إذ تعامل المستعمرون مع العمّال الصينيين كما تعاملوا مع السود بكل وحشية. لولا صبر الصينيين لتمّت إبادتهم أيضاً. أما في ما يتعلّق بالجالية المنحدرة من أصول يابانية فتمّ زجّهم بمعتقلات خلال الحرب العالمية الثانية رغم أنهم كانوا مواطنين صالحين.

والثقافة العامة للمواطن الأميركي مليئة بالكلام الجارح والتحقيري لأصحاب البشرة السوداء والصفراء والسمراء. وأخيراً أُدرج العرب والمسلمون وباقي الآسيويين على قائمة المضطهدين عنصرياً كما بات واضحاً من إجراءات الإدارة الأميركيَّة برئاسة دونالد ترامب.

التمييز ليس محصوراً بالأعراق، بل يتناول الأديان والحالة الاقتصادية والاجتماعية وحتى بعض الدول الأوروبية غير الانغلوساكسونية. فتاريخ الولايات المتّحدة مليء بمعاداة المسيحيين الكاثوليك واليهود على حدّ سواء. ويسخر الانغلوساكسونيون من المنحدرين من أصول إيطالية وأيرلندية وبولندية وأكثريتهم من الكاثوليك. وحتى فترة قريبة لم يعتبر الانغلوساكسونيون تلك الشعوب الكاثوليكية من المسيحيين بل من أتباع البابا في روما! الثقافة العامة في الولايات المتّحدة تقرن الإيطاليين بالمافيا، والأيرلنديين بالسكارى والبولنديين بالأغبياء العنيدين! ويستطيع أي باحث عبر الانترنت أن يكتشف صفحات عديدة من الألقاب التحقيرية التي يستخدمها الانغلوساكسونيون تجاه كل من يختلف عنهم في العرق والدين من الأوروبيين غير الساكسونيين.

أما في ما يتعلّق بالحالة الاقتصادية والاجتماعية فهناك أيضاً تمييز بين ما يسمّونهم بـ«الزبالة البيضاء»(white trash) أو كما وصفتهم هيلاري كلنتون بـ «المنبوذين» (deplorables)، وهم مواطنون بيض لكنهم فقراء وغير متعلّمين. هؤلاء يشكّلون قاعدة ترامب الانتخابية الصلبة مع الإنجيليين المتشدّدين. والفرق الطبقي يمتدّ إلى الطبقة الوسطى حيث سكّان الريف يُعتبرون من المتخلّفين بينما سكّان المدن من المتمدّنين! بمعنى آخر، يأخذ التمييز أشكالاً متعدّدة تبعاً للنظرة التوراتية للمجتمع عند ورثة المتطهّرين الذين قرأوا الإنجيل بشكل يبيح لهم اضطهاد وحتى قتل كل من هو مختلف عنهم بالشكل والمعتقد وحتى المنبت.

**من مفارقات ثقافة التمييز أن التمييز الطبقي يطغى على التمييز العنصري حتى عند الأميركيين المتحدّرين من أصول أفريقية، هناك طبقية لا تختلف عن الطبقية الموجودة عن البيض. فالنخب السوداء، وخاصة في عالم السياسة، لا تختلف عن نظيرتها البيضاء**

من مفارقات ثقافة التمييز أن التمييز الطبقي يطغى على التمييز العنصري حتى عند الأميركيين المتحدّرين من أصول أفريقية، هناك طبقية لا تختلف عن الطبقية الموجودة عن البيض. فالنخب السوداء، وخاصة في عالم السياسة، لا تختلف عن نظيرتها البيضاء. البعد الطبقي أهم من البعد العرقي. تجلّى ذلك في الحملة الانتخابية التمهيدية الرئاسية في عام 2008 حيث النخب السياسيَّة السود والمسمّاة «بلاك كوكس» (black caucus) دعمت هيلاري كلينتون ضد المرشح «الطبيعي» باراك أوباما. استطاع أوباما أن يتفوّق على كلنتون، إلا أنه سرعان ما انضمّ إلى فئة الشركات المالية التي كانت تدعم كلنتون. كذلك عالج أوباما أزمة 2008 المالية بدعم المؤسسات المالية من دون أي محاسبة. وفي الانتخابات الأولية الرئاسية سنة 2020 تدخّل أوباما بثقله لصالح المرشح جوزيف بايدن الذي يخرج من الحلبة الانتخابية

بسبب تفوّق برني سندرز. كان يفترض أن يدلي السود في الحزب الديمقراطي بأصواتهم لبرني سندرز صاحب المشاريع التقدمية التي تنصف السود، غير أن المصلحة الطبقية فرضت التمسّك بجوزيف بايدن. أما على صعيد الانتخابات النيابية، فالنخب السوداء في مدينة نيويورك ساندت النائب اليوت انجيل ضد المرشّح جمال بومان المتحدّر من أصول أفريقية. هذه بعض الأمثلة التي تدلّ على أن التمييز الطبقي أقوى من التمييز العنصري في الولايات المتّحدة. لذا نرى «تعاطف» الإعلام الشركاتي المهيمن مع الاحتجاجات ضد العنصريَّة طالما كانت القضايا الاقتصادية والاجتماعية بعيدة عن المنتفضين!

بعد هذا العرض السريع لأشكال التمييز، ينتقل حافظ إلى مقاربة ما يجري في الولايات المتّحدة. ففي المراحل الأولى حرّك الغضب حركة الاعتراض الأولى على قتل جورج فلويد، لكن تسارعت التطوّرات وخاصة العنيفة وبدأت أعمال العنف تعمّ التظاهرات. واليوم، من يقوم بهذه الأعمال، هي مجموعات صغيرة متطرّفة ومنظّمة جيّداً وممولّة بشكل لافت للنظر .ما حصل في الولايات المتّحدة للحراك الشعبي حصل في العديد من الدول، أي اختطاف الحراك لصالح أجندات مشبوهة وخارجة عن السبب الأوّلي للاحتجاجات.

هنا لا بد لنا من التوقف عند نقطة مهمة. إن الاحتجاجات لم تأت من الفراغ بل كانت نتيجة تراكمات لشتّى أنواع الظلم تجاه شرائح واسعة من الأميركيين وليست محصورة بعرق أو فئة واحدة. تلاقي التمييز العنصري المرفوض أخلاقياً أوّلاً وقانونياً ثانياً، مع الظلم الاقتصادي الذي يطاول الجميع وهو الوعاء للتحرّك الشعبي. النخب الأميركيَّة الحاكمة وخاصة الشركات الكبرى المستفيدة من واقع الحال الاقتصادي والسياسي تخشى أن يتحوّل الحراك إلى مراجعة في النظام الاقتصادي والتوزيع غير العادل للثروة. لذا نرى ظاهرة فريدة من نوعها هي تبنّي النخب الحاكمة ورقة

التمييز العنصري والتركيز عليه بدلاً من التركيز على الواقع الاقتصادي الاجتماعي. كذلك نرى الإعلام المهيمن الشركاتي يدعم الحراك الشعبي وخاصة المجموعات المتطرّفة كـ «بلاك لأيفز مترز» أي «حياة السود مهمّة» ومجموعات تنتسب إلى حركة «انتيفا» المناهضة للفاشية والتي تقوم بأعمال العنف ضد المؤسسات.

واللافت للنظر، أن كل هذه التحرّكات لم ترفع شعاراً واحداً حول الحالة الاقتصادية والاجتماعية بينما دخل أكثر من 40 مليون مواطن أميركي عالم البطالة، وغالبية الوظائف تبخّرت بسبب إفلاس الشركات الصغيرة والمتوسطة. أما الشركات الكبيرة فاغتنمت جائحة الكورونا لتقليص عدد العاملين فيها عبر إلغاء وظائف لم تعد بحاجة إليها. وقد أدّت إجراءات مواجهة جائحة كورونا والاحتجاجات المناهضة للعنصريَّة إلى تحويل الأنظار عن القضايا الجوهرية التي تهدّد الكيان الأميركي. لذا، إن الصراع الطبقي قادم رغم الادعاءات المغايرة. السبب أن هذا النظام لم يعد قادراً على توزيع شبه عادل للثروة. كما أن جائحة كورونا أتت لتزيد من ثروة الأثرياء والشركات الكبرى عبر المساعدات المالية التي ضخّها الاحتياط الاتحادي بينما لم يمنع تفاقم البطالة. المفارقة العجيبة الغريبة تكمن في ارتفاع بورصة الأسهم والأوراق المالية بينما العجلة الاقتصادية شبه متوقفة. هذا يؤكّد ما كنّا وما زلنا نقوله عن الانفصام بين الاقتصاد الفعلي والاقتصاد الافتراضي الريعي. فالنخب الحاكمة في الولايات المتّحدة عن سابق تصميم أرادت ذلك التحوّل والانفصام لكنها ستواجه النتائج الكارثية قريباً جدّاً، هذا إن لم تكن هذه الاحتجاجات بداية لمسار يصعب ضبط إيقاعه.

**الصراع الطبقي قادم رغم الادعاءات المغايرة. السبب أن هذا النظام لم يعد قادراً على توزيع شبه عادل للثروة**

حتى الآن، الاحتجاجات لا تشكّل تهديداً للنظام القائم، لكن المنظومة السياسيَّة تبدو أنها مستهدفة وإن لم يتم طرح البديل. هناك مخاطر جدّية من الانزلاق إلى الفوضى.

ما يثير القلق حول الانزلاق إلى الفوضى هو رفع شعار «إلغاء الشرطة» في العديد من المدن. كما أن الدعوات لإلغاء أو تقليص موازنات الشرطة واستعمال الأموال على «مشاريع اجتماعية» غير معروفة تشكّل متن الخطاب الشعبوي الذي يروّجه المنتفضون على العنصريَّة. وهناك احتمال كبير لتوريط المؤسسة العسكرية في الصراع الداخلي المتفاقم، غير أنه حتى الساعة استطاعت المؤسسة العسكرية أن تحيّد نفسها..

ينقل حافظ عن الكاتب والمفكّر الروسي ألكسندر دوغين وصفه للحالة الأميركيَّة بالخطرة جدّاً، وكذلك يفعل عدد من المفكرين والمحلّلين المحافظين كـ «بيتر لافيل» و «فيليب جيرالدي» و «بات بيوكانان» على سبيل المثال وليس الحصر. وفي رأي حافظ فإنّ ما يحصل في الولايات المتّحدة يظهر بشكل واضح التناقض البنيوي بين النظام الرأسمالي المستند إلى طابع ديني كما شرحه ماكس فيبر وبين النظام الديمقراطي الذي تتكلّم عنه النخب المثقّفة في الولايات المتّحدة والغرب عموماً، ولكن الذي فقد فحواه بسبب الرأسمالية وتمركز المال في يد القلّة على حساب ليس الأكثرية بل الشعب أجمع. فعلى ما يبدو أصبحت كتابات جوزيف شومبيتر عن الرأسمالية والديمقراطية، أقرب إلى الوهم من الواقع، وكذلك كتابات فريدريك فون هايك عن الحرّية المطلقة التي حاول الليبراليون ربطها بالديمقراطية. هذه قضايا لا تقلّ أهمية عن موضوع التمييز.

## AEON .11 (موقع أمريكي)

## جاء المسلمون إلى أميركا قبلَ قرن من وصول البروتستانت وبأعداد كبيرة[1]

### حرموا حريتهم وتم تنصيرهم بالقوة

كثيرًا ما يتم تقديم تاريخ الأمة الأمريكيَّة الحديثة، بالاستناد إلى رواية بروتستانتيّة تحرم الجماعات الأخرى من أي اعترافٍ بدورها في إنشاء الولايات المتّحدة الحديثة، عبر صهر التاريخ الأمريكي كلّه وتقديمه كحرب قامت بين البروتستانت والكاثوليك ومن ثمّ الأمريكيين البيض والهنود، الذين يُزعمُ أنهم كانوا أنفسهم أسيادًا للعبيد في مزارع السكّر، وأنهم أيضا استعبدوا الأفارقة على غرار البيض وبالتنسيق معهم، غير أنَّ الناحية الأكثر جِدَّة في هذا كله، أنّ هؤلاء العبيد كانوا في غالبيتهم من المسلمين، وقد حُرِموا حريّتهم، وحريّة ممارسة شعائرهم، وفي بعض الحالات نُصّروا بالقوّة وحرموا من أي انتماء للإسلام أو العروبة، وهم من كانوا متعلّمين وأطباء وأمراء في بلدانهم الأم.

**وطئ المسلمون أميركا قبل أكثرِ من قرنٍ على قيام شركة فيرجينيا بتأسيس مستعمرة جيمستاون عام 1607 للميلاد. وقبل أكثر من قرنٍ على قيام البيوريتانيين بتأسيس مستعمرة خليج ماساتشوستس عام 1630 للميلاد. وقد عاش المسلمون في أميركا ليس قبل البروتستانتيين فحسب، ولكن قبل أن توجد البروتستانتيّة نفسها. وبعد الكاثوليكيّة، كان الإسلام ثاني أكبر الأديان التوحيديّة انتشارا في القارتين**

وصلت الديانة الإسلامية أميركا عام 1492 للميلاد على الأرجح، أيّ قبل 20 عامًا على قيام مارتن لوثر بتثبيت أطروحتِه على باب [الكنيسة]، بادئًا الإصلاح البروتستانتي.

فتح المور - المسلمون أفارقَة وعربًا - معظم شبه الجزيرة الإيبيريَّة عام 711 للميلاد، مؤسسين لثقافة إسلامية دامت زهاء ثمانية قرون. مع بداية عام 1492 للميلاد، اختتم الملوك الإسبان فرديناند وإيزابيلّا [حروب

---

(1) AEON, Muslims of early America, Brigid Hains, ترجمة فرح عصام.

الرِّيكونكويستا (الاسترداد)، بهزيمة آخر الممالك المسلمة، مملكة غرناطة. وبحلول نهاية ذلك القرن، كانت محاكم التفتيش، التي بدأت قبل قرن واحد، قد أكرهت نحو 300.00 إلى 800.00 مسلم (ونحو 70.000 يهودي على الأقل) على اعتناق المسيحية. عادةً ما كان الكاثوليك الإسبان يشتبهون بممارسة أولئك الموريسكيّين أو الكونفيرسوس (المتحوّلين) للإسلام (أو اليهوديّة) سرًّا، فقامت محاكم التفتيش بملاحقتهم ومحاكمتهم. كان بعض هؤلاء، وبصورةٍ شبه مؤكَّدة، قد أبحر ضمن طاقم كولومبوس، حاملين الإسلام في عقولهم وأفئدتهم.

بحلول عام 1503 للميلاد، نعرف بأنَّ المسلمين أنفسهم، من غرب إفريقيا وطئوا أرض «العالم الجديد». في تلك السَّنة، كتب الحاكم الملكيّ لأميركا الوسطى إلى إيزابيلا يطلب منها خفض الأعداد المستوردة منهم، ذلك أنهم كانوا، كما أشار، «فضيحةً للهنود». فقد كانوا، على حد تعبيره، كثيرًا ما «يفرّون من مالكيهم». وفي صبيحة رأس السَّنة من عام 1522 للميلاد، اندلعت أولى انتفاضات العبيد في العالم الجديد، عندما ثار 20 عبدًا من أميركا الوسطى في مزارع السكّر وشرعوا بقتل الإسبان. وكان الثوّار، كما أشار الحاكم، في غالبيّتهم من الولوفيّين، وهُم شعبٌ سنغاليّ غامبيّ، بدأ العديد منهم باعتناق الإسلام منذ القرن الحادي عشر. وقد غلب على المسلمين أكثر من غيرهم إجادة القراءة والكتابة: وهي قدرة قلّما نُظر إليها كأفضلية من قبل مُلاك المزارع. وفي العقود الخمسة التي تلت ثورة العبيد في أميركا الوسطى، أصدرت إسبانيا خمسة مراسيم تحظُر استيراد العبيد المسلمين.

بالتالي فقد وطئ المسلمون أميركا قبل أكثرِ من قرنٍ على قيام شركة فيرجينيا بتأسيس مستعمرة جيمستاون عام 1607 للميلاد. وقبل أكثر من قرنٍ على قيام البيوريتانيين بتأسيس مستعمرة خليج ماساتشوستس عام 1630 للميلاد. وقد عاش المسلمون في أميركا ليس قبل البروتستانتيين فحسب، ولكن قبل أن توجد

البروتستانتيّة نفسها. وبعد الكاثوليكيّة، كان الإسلام ثاني أكبر الأديان التوحيديّة انتشارا في القارتين.

كان المسلمون جزءًا من أميركا العظمى من البداية، بما فيها تلك الأجزاء التي أضحت تعرف بالولايات المتّحدة. في عام 1527 للميلاد، وصل مصطفى الزمّوري، وهو مسلمٌ عربي من الساحل المغربي، إلى فلوريدا كعبدٍ في بعثةٍ إسبانيّة تعرَّضت للتدمير بقيادة بانفيلو دي نارفيز. على عكس كل الاحتمالات، تمكن الزمّوري من النجاة وأسس لنفسه حياةً، مرتحلا من سواحل خليج المكسيك إلى أنحاء ما يُعرف الآن بجنوب غرب الولايات المتّحدة، بالإضافة إلى أميركا الوسطى. وقد ناضل كعبدٍ للسكّان الأصليين قبل أن يؤسس لنفسه مهنة كطبيب معروف له احترامه.

يقول تقرير مركز AEON، إنّ الزموري رأى في الولايات المتّحدة الحالية، بأراضيها وأناسها، أكثر مما رأى أيٌّ من «الآباء المؤسسين» للبلاد - بل أكثرَ مما رأت أي مجموعةٍ منهم مجتمعة. وتلتقط ليلى العلمي كل هذا وأكثر في روايتها «ما رواه المغربي «(The Moor’s Account) الصَّادرة عام 2014، والتي تتتبَّع فيها رحلة الزَّموري خلال طفولته في المغرب، واستعباده في إسبانيا، ومن ثمَّ نهايته الغامضة في الجنوب الغربي الأميركيّ.

استفاد الفرنسيون، بين عامي 1719 و1731 للميلاد، من الحرب الأهلية في غرب أفريقيا في استعباد الآلاف، جالبين 6000 أفريقي رأسًا إلى لويزيانا. جاء معظمهم من فوتا تورو، وهي منطقة تقع قرب نهر السنغال وتُباعد بين ما تُعرفان حاليا على أنهما السنغال وموريتانيا. دخل الإسلامُ فوتا تورو في القرن الحادي عشر. ومنذ ذلك الحين، عُرفت بكثرة مفكّريها، وجيوشها المجاهدة، وحكوماتها الدينيّة، بما فيها «إمامة فوتا تورو«، وهي حكومة دينيّة قامت ما بين عامي 1776 و1861 للميلاد. كما أنَّ الصّراعات الأفريقية ما بين أواخر القرن الثامن عشر وبواكير القرن

**يوثّق باكيت أكثر من 150 اسمًا عربيا شائعًا في أوساط أولئك المنحدرين من أصل إفريقي في الجنوب الأمريكي**

التاسع عشر في «ساحل الذَهب» (ما يُعرف اليوم بـ غانا) وأرض الهوسا (ما يُشكّل في غالبه نيجيريا اليوم) قد انعكست أصداؤها على أميركا. ففي الأُولى تمكن الأشانتي من هزيمة تحالف المسلمين الأفارقة. وفي الأخيرة، انتصر الجهاديّون في النهاية لكنّهم فقدوا في أثناء ذلك العديد من أبنائهم لصالح تجارة العبيد والغرب.

كانت إعادة تسمية العبيد (أحيانًا بصفاتٍ احتقاريّة أو تهريجيّة) أداةً مهمّة للسلطات الزراعية، ونادرًا ما تم إغفالها. غير أن الأسماء العربية، على امتداد أميركا الشمالية، حُفظت كجزء من السِّجل التاريخي. فسجلّات المحاكم في لويزيانا للقرنين الثامن عشر والتاسع عشر تُظهر إجراءات ترتبط بأشخاص يحملون أسماء المنصور، شومان، عماد، فاطمة، ياسين، موسى، بكري، معمري وآخرين. بينما تفصّل سجلات المحاكم من القرن التاسع عشر في جورجيا إجراءات قانونيّة تتضمن أسماء سليم، بلال، فاطمة، إسماعيل، عليق، موسى وآخرين. وقضى نيوبل باكيت، عالم اجتماع من القرن العشرين، حياته يجمع مادة إثنوغرافيّة حول الحياة الثقافيَّة للأميركيين الأفارقة. وفي كتابه «أسماء سوداء في أميركا: أصول واستخدامات» (Black Names in America: Origins and Usage) يوثّق باكيت أكثر من 150 اسمًا عربيا شائعًا في أوساط أولئك المنحدرين من أصل إفريقي في الجنوب الأمريكي.

كان لورينزو داو تيرنر، باحث من منتصف القرن العشرين في لغة الغالا (وهي لغة محكيّة كريوليّة في منطقة «سي آيلاندز» على الساحل الجنوبي الشَّرقي الأميركي) قد وثَّق «نحو 150 اسمًا ذات أصول عربية» كانت شائعة نسبيًا في منطقة سي آيلاندز وحدها. وهي تتضمن: أكبر، علي، أمينة، حامد، والعديد من الأسماء الأخرى. وفي مزارع تعود إلى بداية القرن التَّاسع عشر في الكارولينيتين، كان مصطفى اسمًا

رائجا. الأسماء العربية لا تجعل المرء مسلمًا بالضرورة، على الأقل ليس في المغرب أو بلاد الشام، حيث العرب مسيحيّون ويهودٌ أيضا. لكنّه كان انتشار الإسلام الذي جلب الأسماء العربيّة إلى غرب إفريقيا. لذا فقد كان هؤلاء الأفارقة أو الأفارقة الأميركيين من أمينة وأكبر، أو على الأقل آباءهم أو أجدادهم، من المسلمين بصورة شبه مؤكّدة.

انطلاقًا من خوفها، حاولت السلطات الإسبانيّة حظر العبيد المسلمين من مستوطناتها الأميركيَّة المبكّرة. أما في مجتمع العبيد الأنجلو أمريكي الأكثر تماسكا وأمنًا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، فقد كانوا محل تفضيل العديد من المزارعين. إنمَّا في الحالتين، كان الاستخلاص ذاته: لقد كان المسلمون متميّزين، فقد حازوا السلطة، ومارسوا التأثير. أحد المنشورات - «القواعد العمليّة للإدارة والمعالجة الطبيّة للعبيد «الزنوج» في مستعمرات السكّر» الصّادر عام 1813 للميلاد، والذي ركّز على جزر الهند الغربية - أشار إلى أنّ المسلمين «ممتازون في الاعتناء بالمواشي والخيول، والخدمة الدَّاخليّة» لكن «لديهم القليل من المؤهلات للأشغال الأكثر خشونة في الحقول، ولهذا السبب لا ينبغي أبدًا استعمالهم في الحقول». ويشير المؤلف إلى أنّه في تلك المزارع: «الكثيرُ منهم يتحادثون باستخدام اللغة العربية.

ويطرح السؤال عن عدد المسلمين الذين عاشوا في أميركا بين1500 و1900 للميلاد؟ تجيب المؤرخة سيلفيان ضَّيّوف عن هذا السؤال في كتابها «عباد الله» (Servants of Allah) الصَّادر عام 1998 فتقول:

«من الملايين العشرة أو أزيد الذين تم استعبادهُم من الأفارقة الذين أُرسلوا إلى العالم الجديد، ذهب أكثر من 80 بالمئة إلى الكاريبي أو البرازيل. برغم ذلك، كانت أعداد المسلمين الذين جاؤوا إلى أميركا المبكّرة أكبر بكثير من أعداد البريتونيّين (الإنكليز) الذين جاؤوا في ذروة الاستعمار البيوريتاني. وقد شهدت نقطة الذروة من الاستيطان، بين عاميّ 1620 و 1640 للميلاد، قدوم 21.000 بريتوني إلأميركا

الشمالية. وربّما جاء 25% من هؤلاء كخدم وكان من الصّعب، بالتبعية، افتراض وجود مشاعر وآراء بيوريتانيّة لديهم. وبحلول عام 1760 للميلاد، كانت نيوانجلند موطنًا، على أحسن تقدير، لـ 70.000 من أتباع الأبرشيّة (كنيسة البيوريتانيين في نيوانجلند).

برغم أعدادهم الضئيلة نسبيًا، نجح البيوريتانيّون في التحوّل إلى جماعة من الأساتذة والمربيّين للأمة، وبرعوا في في كتابة التاريخ، فدونوا أنهم شعب مُختار، شعب لا يتقاسم النسب مع الرب لكنّه يتبع الرّب. واختزلوا التاريخ، بما فيها الحضور الطويل المديد للمسلمين والإسلام في أميركا، وكانت النتيجة الأكثر ديمومة للتأثير البيوريتاني هي الالتزام المستمر بإنتاج ماضٍ يصب تركيزه على كيف أدت الإجراءات، التي عادةً ما تصوّر على أنها جريئة وذات مبادئ، للأنجلو بروتستانت (التي غالبا ما بدأت في نيوانجلند تشيسابيك) إلى قيام الولايات المتّحدة الأمريكيَّة، بحكومتها ومؤسساتها. والحقيقة أن المسلمين كانوا أمريكيّين بقدر ما كان الأنجلو بروتستانتيين أميركيين بدورهم. وبالعديد من الطرق، فإنَّ المسلمين الأوائل في أميركا نماذج يحتذى بها في الممارسة والمثل الدينية المشرِّفة في أميركا. وأي تصريحٍ أو إشارة إلى النقيض، مهما كانت نواياها طيبة، ستكون مدفوعة إما بشوفينية متعمدة أو شوفينية كامنة.





## 12. بي بي سي

## المسلمون السود في الولايات المتّحدة: حين يتحالف الرهاب والعنصريَّة[1]

### لماذا يعتنق السود الإسلام؟

انطلقت حركة «حياة السود مهمّة» بعد تبرئة الشرطي جورج زيمرمان من

(1) بي بي سي العربيَّة، المسلمون السود في الولايات المتحدة: حين يتحالف الرهاب والعنصرية، سناء خوري، 8 أيلول، 2020.

مقتل الشاب الأسود الأعزل ترايفون مارتن (17 عامًا)، في فلوريدا. وخلال سنوات تحوّلت إلى تيار عالمي، رافض للعنصريَّة. وخلال الأشهر الماضية، تصاعد دورها بعد مقتل جورج فلويد.

بعد إطلاق النار على جاكوب بلايك أواخر أغسطس/ آب 2020، خرج والده للحديث إلى الإعلام، وكان لافتاً أنّه اختار تلاوة سورة الفاتحة، متمنياً لولده الشفاء. وعلّق الإمام الأمريكي عمر سليمان على ذلك بالقول: «ليس مهمّاً إن كان الابن أو الأب مسلمين، فما حصل لعائلاتهما دليل إضافي على العنف الممنهج غير الإنساني».

**إنّ المسلمين السود يعانون من عنصريَّة مزدوجة. «فمن جهة، يتعرضون للتمييز لكونهم سوداً، وهذه هي الخطيئة الأصلية في عرف العنصريَّة الأمريكيَّة، ولها جذورها التاريخية حقبة العبودية. ومن جهة أخرى، يتعرضون للتمييز كمسلمين، وهي وصمة هوياتية يربطها الأميركيون بالشرق الأوسط الذي يرونه كخصم**

صحيح أن «حياة السود مهمّة» عابرة للأديان والطوائف، ولا تقوم على بعد ديني، إلا أنّ نضال السود في الولايات المتّحدة لطالما طبع بالأثر الكبير لشخصيات مسلمة، وأبرزها مالكوم أكس، أو الحاج مالك الشبّاز كما كان يسمّي نفسه، أحد أبرز قادة حركة الحقوق المدنية، اعتنق الإسلام في السجن، حيث التقى بمؤسس حركة «أمة الإسلام» ايلايجاه محمد.

قد لا يكون البعد الديني أساسياً في نضال السود ضد العنصريَّة، لكنه حاضر، خصوصاً في الوقت الراهن، مع تصاعد خطاب اليمين المسيحي المتطرف في الولايات المتّحدة. هذه المشكلة أشار إليها رئيس تحرير مجلّة «ذا نيويوركر» مايكل ليو، في مقال نشر قبل أيام، بعنوان «مشكلة فوقية العرق الأبيض في المسيحية الأمريكيَّة»، تحرّى فيه سبب تغلغل العنصريَّة في خطاب المسيحيين البيض وأدائهم.

في حديث مع «بي بي سي»، يشرح المفكر الإسلامي الأمريكي إبراهيم موسى الخلفية التاريخية للعلاقة بين نضال السود ضد العنصريَّة والإسلام بقوله: «تأسست

أمة الإسلام في العام 1930 ونالت شهرة في الخمسينيات، ليس فقط بسبب شعبية مؤسسها ايلايجاه محمد كمقاوم لقمع البيض، لكن أيضاً لأن شخصيات مثل مالكوم أكس ومحمد علي كلاي أعطيا المجموعة وجهاً. كلاهما افترقا عن الجماعة واعتنقا الإسلام لاحقاً. وفي الوقت الراهن، فإنّ الكثيرين من الأميركيين السود الذين يعتنقون الإسلام، يفعلون ذلك لأسباب ايمانية، ولكن في الوقت ذاته، كشكل من مقاومة العنصريَّة المسيحية البيضاء، إذ يمكننا القول إنّ الإسلام يعدّ بالنسبة إليهم مقاومة».

يقدّر معهد «بيو« للأبحاث، عدد المسلمين السود، بنحو 20 بالمئة من مجمل المسلمين في الولايات المتّحدة، وهم بذلك يشكلون 2 بالمئة فقط من مجمل السود (أرقام العام 2017). ولكن، بحسب إحصاءات المعهد، فإنّ السود يشكلون نسبة 49 بالمئة ممن يعتنقون الإسلام حديثاً. وإن نظرنا إلى مجمل من يغيّرون دينهم في الولايات المتّحدة، سنجد أنّ نسبة الذين يعتنقون الإسلام تبلغ 23 في المئة، مقارنة مع 6 في المئة ممن يعتنقون المسيحية.

### محو المسلمين السود

تكتب الباحثة الأمريكيَّة دونا أوستون على موقع «مربّع سابيلو«، «من السهل رسم أوجه تشابه بين الإسلاموفوبيا (رهاب الإسلام) والعنصريَّة ضد السود، بوصفهما مظهرين مختلفين لدافع واحد، لكن قد يبدو ذلك قفزة تحليلية. في الخطاب العام، نستسهل الربط بين التمييز ضد المسلمين، والتمييز ضد العرب، ونعدّهما شأنين متماثلين. ولكن، على الرغم من أنّ ثلث المسلمين في الولايات المتّحدة هم من السود، نادراً ما نقارب قضايا العنصريَّة ضد السود والسجن الجماعي ووحشية الشرطة بوصفها قضايا «إسلامية» كاملة الشرعية. والسبب أننا نادراً ما نأخذ المسلمين السود بعين الاعتبار».

وتضيف: «تميل السرديات الشائعة في الإعلام والدراسات الأكاديمية إلى طمس

صوت المسلمين السود ووجودهم مرتين، حتى في مرحلة تجد الأجساد السوداء نفسها في قلب المحنة. فالمسلمون السود لا يقفون من قضية (العنصريَّة ووحشية الشرطة) موقف المتفرجين أو الحلفاء، فحسب. وبالرغم من ذلك، فإننا غالباً ما نحذفهم، حتى من سردية نضالنا. هذا الحذف (أو المحو) يجعل جماعاتنا أكثر عرضة لرهاب المسلمين من جهة، وللعنصريَّة ضد السود (حتى في أوساط المسلمين غير السود أنفسهم).

يُعتَقدُ أنّ ديانة الأفارقة الذين استعبدوا وبيعوا كانت الإسلام قبل وصولهم إلى الولايات المتّحدة، وكانت تلك سردية «أمة الإسلام» عند تأسيسها، لاعتبار أنّ الإسلام كان دين السود قبل العبودية.

**فإنّ الكثيرين من الأميركيين السود الذين يعتنقون الإسلام، يفعلون ذلك لأسباب ايمانية، ولكن في الوقت ذاته، كشكل من مقاومة العنصريَّة المسيحية البيضاء، إذ يمكننا القول إنّ الإسلام يعدّ بالنسبة إليهم مقاومة**

يقول المفكر الإسلامي الأمريكي إبراهيم موسى لـ«بي بي سي»، إنّ المسلمين السود يعانون من عنصريَّة مزدوجة. «فمن جهة، يتعرضون للتمييز لكونهم سوداً، وهذه هي الخطيئة الأصلية في عرف العنصريَّة الأمريكيَّة، ولها جذورها التاريخية حقبة العبودية. ومن جهة أخرى، يتعرضون للتمييز كمسلمين، وهي وصمة هوياتية يربطها الأميركيون بالشرق الأوسط الذي يرونه كخصم».

يرى موسى أنّ «الصورة العالمية عن الإسلام كتهديد، وقعت على أجساد المسلمين السود مرتين. مرّة بسبب السواد ومرة بسبب الإسلام. في المقابل، هناك تصوّر سائد عن كون المسلمين السود عانوا أقلّ من تبعات 11 سبتمبر لأنهم يعتبرون أمريكيين أقحاح، وليسوا مهاجرين مسلمين».

## تحويل السرديات

في عام 2017، أعلن ترامب منع المسلمين من دخول الولايات المتّحدة، ولم يتردد في بعض خطاباته بوصف المسلمين الأمريكيين بالمتطرفين والتابعين لـ«تنظيم الدولة الإسلامية». ومنذ مدّة، يركز «مجلس التعاون الإسلامي الأمريكي CAIR» في الكثير من أنشطته، على عنف الشرطة ضد السود، وأي شكل آخر من أشكال العنصريَّة، خاصة في التصريحات الصادرة عن سياسيين أو في وسائل الإعلام.

تقول مارغاري عزيزة هيل إنّ المسلمين من كل الأعراق يتعرضون للتمييز، سواء من قبل الشرطة، أو من منظومة الهجرة، أو على مستوى القضاء الجنائي. «تحاول الشرطة أن تزرع مخبرين في المساجد والمؤسسات المسلمة، لتعقّب المسلمين كأنهم بالأساس قتلة أو إرهابيون، وهناك برامج لمحاربة التطرّف تستهدف فئات معينة، وخصوصاً في صفوف السجناء. أن تكون مسلماً يضيف طبقة إضافية من التمييز، لكن الشباب المسلمين الذين يقتلون من قبل الشرطة، فذلك بسبب عرقهم أولاً. في المقابل، إن كنت مسلماً في السجن، فاحتمال بأن توضع في العزل الانفرادي، أو أن تتعرض للتعنيف، أكبر. وأعرف كذلك الكثير من النساء المسلمات اللواتي تعرضن للسجن بسبب التظاهر، وأجبرن على خلع الحجاب»..

## 13. موندو ويس

### هل أصبحت الولايات المتّحدة منقسمة على ذاتها؟(1)

قراءة في المشهد المنقسم داخل الشارع الأمريكي، ما بين انجراف الكيان الشرطي نحو النهج العسكري «الإسرائيلي»، وفرض النموذج «الفلسطيني» على الشعب الأمريكي

(1) Mondoweiss, Israelizing the American police, Palestinianizing the American people, Jeff Halper,19 June 2020.

ترجمة إيناس الشوادفي، كاتبة ومترجمة، 8 تموز 2020.

**الأمر المثير للجدل حقا هو أن إسرائيل قد لعبت دوراً جوهريا في عسكرة الشرطة الأمريكيَّة استجابة للتحولات السياسيَّة والاقتصادية في المشهد بوجه عام فوق الأراضي الأمريكيَّة**

يرى كاتب المقالة «جيف هالبر» بأنّ إسرائيل لم تكتفِ بتدريب قوات إنفاذ القانون في أميركا كي تكون أكثر عنفا فحسب، بل ساهمت بكل ما أوتيت من قوة أيضا في فرض أنموذج الدولة البوليسية الأمريكيَّة. هذا لا ينفي إطلاقا كون الدولة الأمريكيَّة تنتهج العنف منذ أكثر من قرن من الزمان قبل قيام دولة إسرائيل أصلا، ولكن الأمر المثير للجدل حقا هو أن إسرائيل قد لعبت دوراً جوهريا في عسكرة الشرطة الأمريكيَّة استجابة للتحولات السياسيَّة والاقتصادية في المشهد بوجه عام فوق الأراضي الأمريكيَّة.

ويمكننا القول بأن «إسرائيلية/ أسرلة أساليب» الشرطة الأمريكيَّة قد بدأت فعليا منذ أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ولعل بعض التطورات التي حدثت في الولايات المتّحدة خلال السنوات الأخيرة هي التي دفعت المشهد في هذا الاتجاه. أولا، الآثار المتهالكة لـ (الليبرالية الحديثة) والتي بدأت منذ عهد الرئيس الأمريكي رونالد ريغان واستمرت أيضا خلال إدارة كل من جورج بوش وبيل كلينتون. والتي أدت إلى حدوث مفارقات اجتماعية وتفاوتات شديدة في مستوى الدخل. فقد بدأت الدعوة نحو تطبيق (النظام والقانونLaw and Order) وشن حروب نظامية ممنهجة ضد أوكار الجريمة وتجار المواد المخدرة ودعوات التطرف. كما بدأت الدعوة نحو السيطرة على الأصوات المعارضة من أبناء الطبقة المتوسطة والفقراء وأولئك الذين يعانون من البطالة. وفي خلال جميع هذه الدعوات، كانت الشرطة هي أداة التطبيق الفعلي للنهج الرأسمالي.

من الآثار المترتبة على أحداث الحادي عشر من سبتمبر أيضا، إصدار قانون باتريوت (Patriot Act) أو ما يعرف بقانون مكافحة الإرهاب والذي يمنح الشرطة

كافة الصلاحيات لإجراء التحقيقات اللازمة واستخدام كافة الوسائل الممكنة لمكافحة الإرهاب. والواقع أن هذا القانون يحد بصورة واضحة من الحقوق المدنية الأمريكيَّة، وإمكانية تنفيذ الإجراءات القانونية على النحو الصحيح. ومرة أخرى يمكن القول بأن الشرطة الأمريكيَّة قد أصبحت بموجب هذا القانون هي يد السلطة في تنفيذ المهمة شبه العسكرية والمعروفة بـ «الحفاظ على الأمن القومي».

صحيح أن الدولة الأمريكيَّة البوليسية ليست صنيعة إسرائيلية تامة، ولكن بالبحث في أصول إسرائيل، سنجد أنها دولة اتخذت الطابع الأمني منذ نشأتها في عام 1948 بل يمكن القول أيضا بأن تلك الجذور العسكرية للدولة الإسرائيلية ترجع إلى مطلع القرن العشرين. وارتكزت أهداف تلك الدولة الناشئة منذ بداية وجودها على خارطة العالم، على قمع العدو الأول لها والمتمثل في الشعب الفلسطيني الموجود على الأرض فعليا واللاجئين الفلسطينيين في دول أخرى. ولعل تلك العقيدة العسكرية هي ما جعلت إسرائيل نموذجا تسير على دربه الإمبراطورية الأمريكيَّة فيما بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. فقد قدمت إسرائيل نماذج عسكرية وقوالب بوليسية جاهزة للشرطة والوكالات الأمنية الأمريكيَّة، ولعل هذا ما كانت تحتاج إليه الولايات المتّحدة في الأساس لبناء الدولة العسكرية الأمريكيَّة.

والسؤال الآن، لماذا لم تنجح الولايات المتّحدة في تطبيق تلك السياسات العسكرية وإقامة أركان الدولة العسكرية الأمنية، وبخاصة أن لديها الآن ما يكفي من المبررات التي تقبع تحت مظلة «الأمن القومي»! والجواب ببساطة يبدو أقرب إلى فكرة عمى الألوان.

في كتابها الشهير «The New Jim Crow» تحدثت ميشيل ألكسندر عن المعضلة التي واجهتها الولايات المتّحدة في الستينات والسبعينات من القرن الماضي عند محاولتها فرض قوانين القمع العنصري، حيث لم تعد العبارات

الصريحة الساذجة المعبرة عن العنصريَّة مقبولة في المجتمع الأمريكي. لقد قامت واشنطن بالبدء في تطبيق أجندتها العنصريَّة تحت مسميات عديدة، ولعل أولها كان إعلان الحرب على المخدرات، تلك القضية التي جادل القليلون حولها نظرا لكونها واضحة وضوح الشمس. ومن ثم فقد واجهت الولايات المتّحدة معضلة كيفية الانتقال إلى دولة أمنية، فكيف ستتمكن من تقييد الحريات المدنية وإخضاعها للقبضة الشرطية، مع الاستمرار في الحفاظ على هيئتها العامة كواجهة حضارية ديمقراطية!

ويمكن القول بأن المشكلة التي واجهت الولايات المتّحدة على وجه التحديد ترتبط ارتباطا كليا بـ «الجدار العازل» الذي أقامه القانون الاتحادي الصادر في عام The Posse Comitatus Act 1878 والذي يشبه إلى حد كبير في فحواه عدد من القوانين والتشريعات الأخرى السائدة في أوروبا. ويفصل هذا القانون فصلا تاما بين فكرة تنفيذ القوانين داخليا «الأمن القومي»، ونشر قوات الجيش خارجيا «الأمن الخارجي». وهذا لا يعني عدم إمكانية نشر الجيش محليا، حيث يلعب الحرس الوطني الأمريكي هذا الدور أحيانا. ولكن استدعاء فرق القوات المسلحة الفعلية كما كان ينوي ترامب فعله في واشنطن في ضوء قانون الانتفاضة الفيدرالي الصادر عام 1807، أمركان يستلزم الاحتجاج عليه، وبالفعل فقد رفض البنتاجون ذلك المقترح الرئاسي.

وعلى الرغم من أن الشركات الأمريكيَّة لديها القدرة على إنتاج أسلحة عسكرية، ولكن بموجب «تشريع الجدار الفاصل» فهناك الكثير من القيود على إمكانية تطوير الأسلحة الشرطية على الطراز العسكري. ولعل هذا ما يجعل الفرصة سانحة أمام إسرائيل على كلا الصعيدين العسكري والمدني. فقد تمكنت صناعة السلاح الإسرائيلية (IWI) من إنشاء مقر لها في ميدلتاون بولاية بنسلفانيا الأمريكيَّة،

حيث يقوم هذا المصنع بإنتاج العديد من الأسلحة العسكرية المستخدمة في إنفاذ القانون. ولا يمكن أن ننسى أن إسرائيل تحتل المركز الأول عالميا في إنتاج الطائرات المسيرة أو الدرونز، حيث تسيطر على نحو 60% من إنتاج السوق العالمية. ولكن «الجدار الفاصل» يشكل تحديا خطيرا هنا، فالطائرات المسيرة تم إنتاجها خصيصا لأعمال المراقبة، لكن تلك المسلحة منها لازالت ممنوع استخدامها من قبل الشرطة الأمريكيَّة.

ونظرا لأن الشعوب التي عانت من الاستعمار عادة ما تعكف على مقاومة كافة أشكال الاضطهاد والتهجير، فالنتيجة الحتمية هنا هي أن المستوطنين لا ينعمون بالراحة وتتحول جميع أركان الدولة شيئا فشيئا نحو الطابع العسكري. ولعل مظاهر العنف الشرطي الراهن في الولايات المتّحدة، ترتبط في الأساس بعمليات الإبادة الجماعية للسكان الأصليين للأراضي الأمريكيَّة. فالجذور الأمريكيَّة المستندة إلى القمع والقتل الممنهج هي الأصل في العنف الذي تشهده شوارع أميركا حاليا.

حاول النظام الأمريكي تهدئة النزعة العنصريَّة الأمريكيَّة خلال عقد السبعينات من القرن التاسع عشر في محاولة منه لإقرار الدولة المدنية، وقد كان سن قانون (Posse Comitatus Act) بمثابة إضفاء الطابع المدني للشرطة الأمريكيَّة. أما في إسرائيل، فلا مجال للفصل بين الشرطة المدنية المنوط بها إنفاذ القانون، والقوات المسلحة العسكرية أو الجيش، بل إنها تزايد في هذا الأمر من خلال تصنيف كافة أشكال المقاومة الفلسطينية على أنها «أعمال إرهابية» وبالتالي يتم الجمع بين قوات الشرطة والجيش من خلال وحدات متنوعة شبه عسكرية تجمع بين الاثنين، كما هو موضح في الشكل التالي:

هذا هو النهج التي تحاول إسرائيل إعادة هيكلة الشرطة الأمريكيَّة وفقا له، والواقع أن الشرطة الإسرائيلية لم تكن يوما ما نوعا من القوات المدنية الموكلة

بإنفاذ القانون وحفظ النظام، بل هي في حقيقتها منظمة شبه عسكرية تعمل تحت مظلة وزارة الأمن الداخلي وذلك في ضوء قانون «حالة الطوارئ الدائمة».

نجحت إسرائيل على مدار السنوات السابقة في أن تحظى بنفوذ كبير داخل الكونجرس والبنتاجون والدوائر الأمنية الأمريكيَّة وذلك نظرًا لسمعتها الأسطورية في مجال التصدي للإرهاب. لعل التنظيم الشرطي شبه العسكري في إسرائيل يتماشى إلى حد كبير مع الميول العسكرية لأفراد الشرطة داخل أقسام الشرطة الأمريكيَّة، حتى أنه في منتصف الستينات من القرن الماضي قامت كل من ولايتي فيلادلفيا ولوس أنجلوس بتشكيل الفرق الخاصة المعروفة بـ SWAT teams والتي تضم مجموعة من المقاتلين الأكفاء المدربين على التعامل مع أنواع عديدة من الأسلحة وتنفيذ تكتيكات خاصة. واليوم نحو 80% من الشرطة الأمريكيَّة لديها بالفعل فرق خاصة أو SWAT.

والآن، دعونا نلقي نظرة سريعة عن كيفية تعامل الشرطة الأمريكيَّة مع مكافحة الإرهاب الداخلي في ضوء النهج الإسرائيلي. في مطلع القرن الحالي، قامت شرطة نيويورك بإنشاء فرقة سرية خاصة على أسس ديمغرافية محددة، بحيث تتولى مهمة رسم الملامح والتضاريس العامة للأحياء التي يسكنها الأقليات، والذين هم موطن الاستهداف الأساسي. وقد أفاد مصدر من داخل شرطة نيويورك بأن النهج المتبع هنا هو ذاته ما تقوم إسرائيل بتنفيذه في بعض أحياء الضفة الغربية. وقد أطلق على ضباط تلك الفرقة الخاصة اسم «زواحف المساجد» حيث تمثلت المهمة الأساسية لهم في مراقبة الأنشطة التي تتم داخل المساجد. وتلك هي الخطوة الأولى فقط في سلسلة مكافحة الإرهاب المزعوم من وجهة النظر الأمريكيَّة الإسرائيلية، حيث تلا ذلك قيام وحدة خاصة أخرى تابعة للشرطة تسمى «وحدة التصدي للإرهاب» بالتدخل وتتبع مسارات الأشخاص المستهدفين، ثم جاء دور فرقة أخرى

أكثر خصوصية تسمى وحدة الخدمات الخاصة والتي تعمل في سرية تامة، وترتكب بعض الأعمال المنافية للقانون أيضا في بعض الأحيان.

والأكثر من ذلك، أنه في عام 2012 قامت شرطة نيويورك بإنشاء مقر لها بمدينة كفار سافا في إسرائيل، وذلك لتحقيق المزيد من التعاون والتكامل مع الشرطة الإسرائيلية. وبحسب ما قاله مايكل دزيكانسكي أحد ضباط شرطة نيويورك الذي التحق بالخدمة في إسرائيل، أنه إذا وقع هجوم انتحاري في أحد أحياء القدس، فإن شرطة نيويورك تنتقل إلى موقع الحدث لإجراء التحقيقات والتعرف على خلفيات ذلك التفجير. وقد شارك دزيكانسكي لاحقا في تأليف كتاب بعنوان «التفجيرات الإرهابية الانتحارية.. آليات الرد والمنع» والذي ما يعد سوى دلالة واضحة على كيفية اقتحام الممارسات الإسرائيلية للعقيدة الشرطية الأمريكيَّة في إنفاذ القانون.

وإذا ما تحدثنا عن مفهوم «الحرب» بوجه خاص، سنجد أنه لطالما كان فيما يتعلق بالتعامل مع الأعراق والأقليات. وقد اكتسبت الشرطة الأمريكيَّة الطابع العسكري منذ عهد رونالد ريغان حينما أعلن «الحرب على المخدرات» والتي تحولت إلى حرب حقيقية في مطلع عقد التسعينات تحت إدارة جورج بوش الأب، والذي أصدر قرار يسمح بتوجيه الفائض من المعدات العسكرية إلى قوات الشرطة لاستخدامها في إنفاذ القانون ومكافحة المخدرات. أما إدارة كلينتون فقد زادت من عسكرة الشرطة حينما تم إطلاق قانون «محاربة جرائم العنف وإنفاذ القانون» في عام 1994 والذي قام جو بايدن بتأليف بنوده. ويمكن القول بأن هذا القانون قد أرسى ركائز البنية التحتية، ووضعَ المظلة القانونية للنظلم الطبقي العنصري في أميركا، والذي بموجبه تم اعتقال وحرمان ملايين المواطنين السود من حقوقهم المدنية. وفي عام 1997 صدر القرار 1033 والذي يسمح بانتقال المزيد من المعدات العسكرية نحو قوات إنفاذ القانون الشرطية، حتى باتت بعض فرق الشرطة في

عدد من الولايات الأمريكيَّة مثل أكسفور وألاباما وغيرها يمتلكون عربات نقل أفراد مصفحة.

وأضف إلى ذلك الحرب في هيئتها الحقيقية في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، حينما أعلنت الولايات المتّحدة الحرب على الإرهاب، حيث أصبح كل مواطن أمريكي بموجبه خاضعًا بصورة أو بأخرى للقبضة الشرطية العسكرية والحرمان من الحقوق المدنية وبخاصة بعد إقرار قانون باتريوت والذي وضع الولايات المتّحدة الأمريكيَّة في حالة طوارئ مستمرة. ولقد أظهر النهج الشرطي الأمريكي الجديد أن الدولة لا تميز أحيانًا في استخدامها للأساليب القمعية بين الشباب البيض رافضي الليبرالية الحديثة، والأقلية من السود.

ونتيجة لذلك، فإنه يمكن القول بأن رجال الشرطة الذين طالما أظهروا استيائهم حيال «الجدار الفاصل» محاولين إخفاء ميولهم نحو العنف، أصبحوا يمتلكون الآن مبررات قانونية وأيدولوجية للمضي قدما في النهج القمعي الجديد. وبذلك يمكن اعتبار مساهمة إسرائيل في عسكرة الشرطة الأمريكيَّة بمثابة نموذج خاص للديمقراطية العسكرية، وهذه هي الصورة الحقيقية للدولة الأمنية التي تعتبر إعلان الحرب بصورة دائمة، أمر منطقي جدا، وان المفاهيم المتعلقة بالأمن يجب أن تتفوق على كافة الاعتبارات الأخرى المتعلقة بالحماية الديمقراطية. ويوضح الرسم البياني التالي الإطار العام للدولة الأمنية:

كل هذا يمكن إدراجه تحت مسمى واحد «فلسطين العالمية» وهو النموذج الذي تسعى إسرائيل جاهدة نحو تعميمه عالميا، فلا يجب أن نعتقد بأن التكتيات العسكرية الفائقة ، والتقنيات المتقدمة، والأسلحة المتطورة، وكل ذلك تم تصميمه خصيصا للسيطرة على الأراضي الفلسطينية فحسب، بل إن اللعبة أكبر من ذلك، فالدولة الإسرائيلية تخطط لتحقيق التكامل التام بين المؤسسات الصناعية

العسكرية والأمنية في جميع أنحاء العالم، وهو ما تنفذه حثيثا في الولايات المتّحدة الأمريكيَّة.وأخيرا، نستنتج من ذلك أنه عندما تصبح الشرطة الأمريكيَّة «إسرائيلية» فإن الشعب الأمريكي بدوره سيصبح «فلسطينيا».

## 14. نون بوست

### المحاصصة العنصريَّة في أميركا: القانون لا يحمي الملونين![1]

ينقل كاتب المقالة عمّار الحديثي عن دانييل سولومون، الرئيسة السابقة للجنة الكونغرس الفرعية للأمن الوطني قولها بأنّ: «أميركا كيان متناقض، من جانب: تتبنى مبادئها التأسيسية قيم الحرية والمساواة، ومن جانب آخر: أمة مبنية على الاضطهاد المنهجي وقمع المجتمعات الملونة. منذ بداية تأسيسها، تم تصميم العديد من القوانين والسياسات العامة، لتكون بمثابة العوائق التي تمنع بشكل صريح الأشخاص الملونين من المشاركة الكاملة، علاوة على ذلك، هذه البنى القانونية ليست من بقايا ما قبل الحرب الأهلية، بل جزء من نسيج صناعة السياسة الأمريكيَّة».

**ممنوعون من التصويت.. حتى الآن!**

في سلسلة بحوث عن العنصريَّة الممنهجة - ضد الملونين: السود، الصينيين، الأمريكيين الأصليين - في الدولة الأمريكيَّة، نشرها معهد التقدم الأمريكي للدراسات، خلص المركز إلى أن سبب هذه المنهجية يعود إلى أصل إنشاء الولايات المتّحدة نفسها على يد البيض الذين عمدوا إلى سن قوانين تمنع الملونين صراحة من التصويت وحتى نيل الجنسية الأمريكيَّة، يشير مكتب الإحصاء الوطني الأمريكي، أنه حتى العام 1860، كان 85% من السود ممنوعين من التصويت في كل الولايات المتّحدة.

ورغم أن التعديل الـ14 و15 من الدستور الأمريكي - بعد الحرب الأهلية - منح

(1) نون بوست، المحاصصة العنصرية في أمريكا: القانون لا يحمي الملونين!، عمار الحديثي، 2 تموز 2020.

السود حق امتلاك العقارات والعمل، لكن هذه الفترة لم تدم طويلًا، فمع إصرار قوانين الفصل العنصري المعروفة بـ»جيم كرو« أقرت الولايات الجنوبية قوانين واضحة لتجريم السود مع مطلع القرن العشرين، فمثلًا أصبح التشرد جريمة يعاقب عليها القانون بالإدانة، ثم يُحرم أي مدان من التصويت لاحقًا (إستراتيجية سيتم استخدامها لاحقًا في انتخابات 2016)، تطور الأمر لتطبيق العبودية عن طريق قانون «الرموز السوداء» الذي يتيح للولايات استعباد السجناء السود لأداء الأعمال!

حتى العام 1965، حين تم إقرار قانون التصويت الوطني للسود بعد كفاح قاده مالكوم إكس ومارتن لوثر كنغ، كانت القوانين تضع العراقيل أمام السود ـ وتستثني منها البيض -، فمثلًا أقرت الولايات الجنوبية قوانين ضريبة الاقتراع واختبار محو الأمية والإجابة عن سلسلة لا نهائية من الأسئلة في التربية المدنية والمواطنة الصعبة لأجل التصويت، وهو ما جعل التصويت مستحيلًا على السود، رغم تزامنها مع استثناء البيض منها بحسب «بنود الجد» الذي يسمح للأحفاد البيض بتخطي هذه المراحل بسبب لونهم!

خلال تلك الفترة، استولت الولايات المتّحدة على عدة أقاليم خلف البحار وهي بورتريكو وغوام وجزر فيرجن وجزر ماريانا الشمالية وساموا، ورغم نيل سكانها الجنسية الأمريكيَّة، لا يزال 3.4 مليون أمريكي فيها من الملونين ممنوعين من التصويت حتى يومنا هذا!

لكن الأغرب، ما حصل عام 2012، فمع سنوات من النضال وتنفيذ قانون التصويت الوطني «VRA» منذ الستينيات فاق عدد المصوتين السود عدد المصوتين البيض في انتخابات 2012 لأول مرة في التاريخ، وهو ما ساعد باراك أوباما على تخطي مات رومني في ولايته الثانية.

بعد الانتخابات أقرت المحكمة العليا في القضية المعروفة باسم «شيلبي

كاونتي ضد هولدر» قانونًا يزيل الحماية عن البند الخامس من قانون التصويت الوطني، ما يعني إعطاء الصلاحيات للولايات لسن قوانين قد تتعارض مع حقوق الملونين من الانتخاب، وهو ما حصل مباشرةً في ولايات معروفة بتاريخها العنصري مثل كارولينا الشمالية وداكوتا الشمالية وولايات أخرى، حيث أُقرت قوانين قديمة مثل قانون الهوية الوطنية الذي يتيح التصويت للهوية الوطنية التي حملها البيض دون تلك التي يحملها السود، وقانون العنوان السكني الصالح للتصويت وقانون الإدانة الذي يمنع المدانين بجرائم فيدرالية - أغلبهم من السود بسبب حملات الشرطة على الملونين في مكافحة المخدرات والجريمة - من التصويت.

**9.5 مليون مواطن أمريكي أغلبيتهم الساحقة من الملونين، تم منعهم من التصويت في انتخابات 2016 التي فاز بها ترامب وهو عدد يفوق الناخبين في ولايات وايومنغ وفيرمونت وألاسكا ونورث داكوتا وجنوب داكوتا وديلاوير ورود آيلاند ومونتانا وهاواي ونيو هامبشاير وماين وإيداهو ذات السكان البيض مجتمعين!**

وبإضافة حرمان سكان العاصمة واشنطن - التي تُعرف باسم مقاطعة كولومبيا - من التصويت في الكونغرس، (وهو أمر تقول صحيفة نيويورك تايمز إن أغلب الأمريكيين لا يعرفون بوجوده أصلًا) تكون التكتيكات القديمة المطورة قد نجحت بمنع ملايين الملونين من التصويت.

بحسب دراسة لجامعة هارفرد ومؤسسة روبت وود جونسون والراديو الوطني الأمريكي بعنوان: «الاضطهاد في أميركا: التأثير على العرقيات» تقول إن القوانين الجديدة بعد انتخابات 2012 حتى 2017 أثرت بنسبة 1:5 لصالح البيض، حيث كانت النسبة 19% ضد السود 10% ضد الأمريكيين الأصليين و15% ضد الأمريكيين من أصل لاتيني و7% من ذوي الأصول الآسيوية، مقابل 4% ضد البيض، ليصل العدد إلى9.5 مليون مواطن أمريكي أغلبيتهم الساحقة من الملونين، تم منعهم من

التصويت في انتخابات 2016 التي فاز بها ترامب وهو عدد يفوق الناخبين في ولايات وايومنغ وفيرمونت وألاسكا ونورث داكوتا وجنوب داكوتا وديلاوير ورود آيلاند ومونتانا وهاواي ونيو هامبشاير وماين وإيداهو ذات السكان البيض مجتمعين!

بحسب الباحثة في مجال الحقوق المدنية أبريل كاسترو: «قوانين حرمان التصويت هي نتيجة فشل المشرعين في اقتلاع العنصريَّة الهيكلية الراسخة بشكل كامل، المواطنون الذين لديهم جناية سابقة ويقيمون في واشنطن العاصمة أو الأقاليم ليسو أقل أمريكيَّة من غيرهم، لكن نتيجة للسياسات التمييزية، فليس لديهم إمكانية اختيار مرشحين من ذوي القيم المشتركة والتعايش، وبالتالي فإن هؤلاء الأمريكيين غير البيض في الغالب يستمرون في تحمل الإقصاء والتمييز والاستغلال بعد أكثر من 150 عامًا من إلغاء الرق».

**غالبًا ما يتم سن سياسات اضطهاد السود تحت ستار إنشاء أماكن عامة جديدة أو إعادة التخطيط الحضري أو تعزيز التنمية الاقتصادية،**

## عنصريَّة في المساكن وأسعار الإيجار

لا تقتصر المنهجية العنصريَّة على حق التصويت فقط، إنما تشمل نواحي أخرى منها إمكانية الحصول على عقار، تاريخيًا، تم بناء المدن الأمريكيَّة بناءً على تفوق العرق الأبيض، مع توقيع الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون قانون «الإزالة الهندي» عام 1830، الذي سمح بنقل الهنود الأصليين جنوب شرق البلاد لفسح المجال أمام البيض، وقبل حلول القرن العشرين، أصدرت الحكومة قرارًا باستيلاء الحكومة على أراضي القبائل وتوزيع 90 مليون فدان للسكان البيض فيما يُعرف بقانون «داوس».

بالنسبة لمجتمعات السود، تركت سياسات استهدافهم أثرًا عميقًا في عدم الاستقرار وانتشار الجريمة في أوساطهم، يقول الباحث كونور ماكسويل، عضو اتحاد الحريات المدنية: «غالبًا ما يتم سن سياسات اضطهاد السود تحت ستار إنشاء

أماكن عامة جديدة أو إعادة التخطيط الحضري أو تعزيز التنمية الاقتصادية، لكن مع مرور الوقت، جردت هذه السياسات المجتمعات السوداء من الثروة والاستقرار المالي الموجود في ملكية العقارات والسكن الإيجاري الميسور التكلفة، على سبيل المثال، في أوائل خمسينيات القرن التاسع عشر، استخدم المشرعون في مدينة نيويورك منهجية بارزة لتدمير مجتمع أسود مزدهر في مانهاتن، مما أدى إلى تشريد آلاف السكان من أجل إنشاء ساحة عامة تعرف اليوم باسم سنترال بارك».

ليس ببعيد عن تلك الفترة، وفي الثلاثينيات، بدأت سياسة تخطيط عمراني جديد في عهد الرئيس فرانكلين روزفلت، لكن الغريب أن التخطيط تم بناءً على التقسيمات العرقيَّة للأحياء، حيث وزعت مؤسسة قروض مالكي المنازل «HOLC» الرهون العقارية وفق معايير اعتمدت استثناء المناطق السوداء باعتبارها مناطق خطيرة.

يقول الكاتب ريتشارد روثستين في كتاب «لون القانون: كيف قسمت الحكومة أميركا عرقيًا»: «بسبب ما يعرف قانونًا بـ«readlining» أو تحديد المناطق الخطرة، حصل السود على 2% فقط من القروض العقارية بين عامي 1934 و1962 التي بلغت قيمتها 120 مليار دولار، ما يعادل اليوم تريليون دولار تقريبًا، وحتى اليوم، لا تزال 75% من المناطق التي تعتبرها المؤسسة خطرة وغير مشمولة بالقروض من مناطق السود.

يمثّل السود أغلبية مفرطة في عدد من المهن التي لا تزال تعاني انخفاضًا في الدخل منذ سن قانون جيم كرو العنصري، وبسبب سياسة القروض، كان من السهل على محترفي العقارات الحصول على أملاك السود بسبب غياب الحماية القانونية لهم، إذ يضطر السود لشراء المنازل بعقود تدفع بالتقسيط شرط استعادة المنزل بحال عدم تسديد أي دفعة من القسط، وهو أمر لم يكن يحصل مع البيض الحاصلين على حماية مؤسسة القروض الوطنية.

وكمحصلة نهائية لهذه السياسات وغيرها، كان من الطبيعي مثلًا أن تنخفض نسبة السود في العاصمة من 71% إلى 48% حتى العام 2015 وأن يزيد السكان البيض بنسبة 25%

ونتيجة عملية لذلك فقد السود 8 من كل 10 منازل قاموا بشرائها في مدينة شيكاغو خلال تلك الفترة، ما أدى لخسائر تراكمية بقيمة 4 مليارات دولار، وكمحصلة نهائية لهذه السياسات وغيرها، كان من الطبيعي مثلًا أن تنخفض نسبة السود في العاصمة من 71% إلى 48% حتى العام 2015 وأن يزيد السكان البيض بنسبة 25%، وأن يصل الاضطهاد في المنازل إلى حد غير مسبوق كما أوردت دراسة لجامعة هارفارد، إذ قال 45% من السود إنهم يعانون من اضطهاد عرقي عند استئجار العقار، مقابل 5% للبيض و31% لذوي الأصول اللاتينية و25% للأصول الآسيوية.

في الجانب الاقتصادي، يبدو الحال أفظع بكثير من نظيريه السياسي والعقاري، يشير مكتب الإحصاء الأمريكي أن السود يمثلون أغلبية مفرطة في عدد من المهن التي لا تزال تعاني انخفاضًا في الدخل منذ سن قانون جيم كرو العنصري! إذ يمثل الملونون 58% من المشتغلين بالزراعة و70% من المشتغلين بخدمة البيوت وعمال النظافة و74% من حاملي الحقائب والبوابين والكونسرج، ورغم أن متوسط الأجر الأمريكي 18 دولارًا في الساعة، فإن المهن التي يشكل الملونون الأغلبية فيها لا تتعدى الـ14 دولارًا كحد أقصى.

وهكذا، أدت سياسات التمييز إلى تفاوت اقتصادي كبير بين البيض والملونين، ففي دراسات متفرقة قام بها باحثون في جامعة كامبريدج وجامعة هارفارد بمشاركة مكتب الاقتصاد الوطني عام 2017 وجدوا أنه - مع تساوي حالات التحصيل الدراسي وهيكل الأسرة - تبلغ نسبة البطالة بين السود ضعفها بين البيض، ويقل دخل الأسر السوداء بنسبة 25-45% عن الأسر البيضاء، في حين يبلغ متوسط الدخل 40300

دولار للأسر السوداء مقابل 68000 دولار للأسر البيضاء.

إن العنصريَّة توجد بلا شك في جميع المجتمعات وتصرفات أفرادها بنسب متفاوتة، لكن المعضلة تكمن حين تكون مئات القوانين مبنية على دفع عنصري أو تحقق غرضًا عنصريًا في روح القانون حتى لو غاب التعبير عن نصه، وفي حين أن هذا النوع من القوانين اكتسب شهرة إعلامية خلال فترة الفصل العنصري في جنوب إفريقيا «الأبرتهايد» إلا أن الإعلام لا يسلط الضوء عليه كثيرًا بسبب قوة الدعاية الأمريكيَّة التي تسوق البلد على أنه مركز الحريات والمساواة التي نالت استقلالها لتكون مقصد الأحرار في العالم في حين أنها كانت تستعبد السود رسميًا حتى ظهرت الآلة.. فما أشبه اليوم بالبارحة!.

## 15. واشنطن بوست

### «الملونون» يحتجون.. كيف تضامن غير البيض مع ضحايا العنصريَّة؟[1]

نشرت صحيفة «واشنطن بوست» مقالًا لأستاذ العلوم السياسيَّة وعلم النفس في جامعة كاليفورنيا، إفرين بيريز، تحدث فيه عن الاحتجاجات المشتعلة في أميركا والتي يقود لواءها الأشخاص الملونون، واندلعت في أعقاب مقتل المواطن الأمريكي من أصل أفريقي، جورج فلويد، على يد رجل شرطة أبيض في مدينة مينيابوليس بولاية مينيسوتا.

وفي مستهل مقاله، ذكر الكاتب أنه في حين تتبدى جهود مكافحة العنصريَّة في طول الولايات المتّحدة وعرضها، نرى الأقليات العرقيَّة متضامنة معًا. ولكن هل يشارك أفراد هذه الأقليات في المظاهرات والاحتجاجات بصفتهم أمريكيين من

(1) The Washington Post, ‘People of color’ are protesting. Here’s what you need to know about this new identity, Efrén Pérez, 2July 2020.

أصل أفريقي ولاتينيين وأمريكيين آسيويين، أم أنهم منخرطون سياسيًّا بصفتهم أعضاءً في مجموعة مشتركة؟

يشير البحث الذي أجراه الكاتب إلى أنه ربما يكون الاحتمال الثاني هو الصحيح. وبنسبة تناهز 40% من السكان، والنسبة آخذة في الزيادة، لم يعد غير البيض يعدون من الأقليات أو الشرائح المتنقلة بين مجموعات شتى. وكثير من غير البيض اليوم يُعرَّفون بأنهم «أشخاص ملونون»، رافضون أي فكرة بأن حياتهم مُهمَّشة سياسيًّا.

ويؤكد الكاتب قائلًا: أقول هذا بكل ثقة لأنني رصدتُ سياسات الأشخاص الملونين خلال السنوات الثلاثة الماضية عبر استطلاعات رأي وتجارب واسعة النطاق شملت ما يقرب من 15 ألف شخص، وفي الوقت نفسه أجريتُ مقابلاتٍ شخصية متعمقة مع 25 شخصًا بالغًا من السود والآسيويين واللاتينيين المُختارِين بعناية.

ويكشف هذا البحث عن أن تسمية «الأشخاص الملونين» صاغها أمريكيون أفارقة لتطلق عليهم، ومن ثم تطورت إلى هوية حشد عديد من غير البيض سياسيًّا نحو أهداف مشتركة، ويتساءل الكاتب قائلًا: هل تعتقد أن التفرقة العنصريَّة قد انتهت؟ ويوضح في السطور التالية كيف أن الشرطة ما تزال تمارسها.

ويشير الكاتب إلى أنه غالبًا ما تتجاهل المناقشات العامة حقيقة أن المجموعات التي تسمى «أقليات»، يمكنها الاختيار من بين عدة هويات. فهوية «الأشخاص الملونين» تعد عنصرًا جديدًا على صعيد الأشخاص غير البيض، الذين يمكن تعريفهم في المقام الأول بأنهم سود، أو لاتينيون، أو آسيويون، أو مكسيكيون، أو جامايكيون، أو صينيون، أو كاثوليكيون، أو مسلمون. وفي ظل عديد من الظروف، يختارون الآن

تعريف أنفسهم بأنهم «أشخاص ملونون».

ويقول الكاتب: عند تحفيز هوية «الأشخاص الملونين»، فإنها توجه الانتباه نحو الفوارق العرقيَّة وجذورها الهيكلية، ودور تفوق البيض في توليدها، كما يتضح من الاحتجاجات الأخيرة ضد وحشية الشرطة.وفي حين أن الاحتجاجات تسعى للفت الانتباه إلى الأفراد السود والقضايا الخاصة بهم، فإنها تضم «أشخاصًا ملونين» آخرين اتفقوا (بوعي أو دون وعي) على أن التضامن، هو ما تتطلبه هذه اللحظة الراهنة، وأن قضية السود هي قضيتهم أيضًا، وأنه في حين يمكن وضع مشكلات أخرى على جدول الأعمال- على سبيل المثال، الحد من احتجاز الأطفال المهاجرين - فقد حان الوقت الآن للتركيز على الوحشية ضد الأشخاص السود.

ويضيف الكاتب قائلًا: أسمع أحيانًا شكاوى حول «الأشخاص الملونين»، بما في ذلك التذمر من غير البيض أنفسهم. وسمع الباحث خلال المقابلات المتعمقة التي أجراها مع 25 شخصًا من «الملونين» في عام 2019 تعليقات مثل: «لا يحب كل الناس هذا التصنيف» و«إنه يسطح الاختلافات» و«يُبسِّط التعقيدات». يتابع الكاتب: اكتشفتُ أنه عندما يشعر «الأشخاص الملونون» بأن التحديات الفردية الخاصة بمجموعتهم العرقيَّة يُنظر إليها بعين التجاهل، تنهار الوحدة التي تؤدي إلى تماسك فكرة «الأشخاص الملونين».

ويختتم الكاتب مقاله قائلًا: لا يوجد شيء طبيعي حول الصداقة الحميمة بين الأشخاص الملونين. وبالنسبة لجميع أوجه التشابه، تتداخل نقطة الاختلاف مع الوحدة. لكن عديدًا من الأمريكيين اللاتينيين والآسيويين وغيرهم من غير البيض الذين يقفون وراء الأمريكيين من أصل أفريقي اليوم يقدمون دعمًا حقيقيًّا لقضيتهم بصفتهم «أشخاصًا ملونين». وكلهم مشتركون ومتأثرون بلعبة السياسة العرقيَّة اليوم.

## 16. معهد الفن والفكر (لندن)

### كيف أصبحت الفلسفه الغربية عنصريَّة[1]

### بدءًا من كانط، محى الفلاسفة الغربيون المفكرين غير الغربيين من التاريخ.

يقول لويد ستريكلاند[2]، افتح أي كتاب تقريبًا عن تاريخ الفلسفة تم نشره على مدار الـ 150 عامًا الماضية وستجد على الأرجح القصة نفسها تقريبًا: نشأت الفلسفة من فراغ في اليونان القديمة منذ حوالي 2600 عام، عندما افترض تاليس أن الماء هو المبدأ الأساسي من الطبيعة، ثم طورها اليونانيون وبعد ذلك الرومان. على مدى السنوات 2000 الماضية، تقول القصة، لقد تم تطوير الفلسفة من قبل المفكرين الأوروبيين الآخرين، وعلى الأخص أولئك من ألمانيا وفرنسا وبريطانيا، مع مساهمة المفكرين الأمريكيين أيضًا على مدى القرنين الماضيين. المعنى الواضح هو أن أي شيء جديرة بفلسفة حدث في الغرب، ولا سيما في أوروبا الغربية وأميركا لكنها لم تكن دائمًا بهذه الطريقة. أول تاريخ للفلسفة باللغة الإنجليزية، نشر في عام 1687 من قبل توماس ستانلي، قدم مختلف الفلسفات القديمة من الشرق، بما في ذلك تلك Chaldeans والفرس Sabeans، والتي ادعى ستانلي أن الفلسفة اليونانية قد تطورت. يحتوي تاريخ الفلسفة باللغة الفرنسية الذي نشره أندريه فرانسوا ديسلاندز عام 1728 على أكثر من مائة صفحة من الفلسفة غير الأوروبية، بما في ذلك الإثيوبيين والمصريين والليبيين والعرب والصينيين، والتي تم تطويرها قبل الإغريق. كما تضمنت ديسلاندز فصلاً طويلاً عن الفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى. على نفس المنوال، كرست تواريخ الفلسفة الأخرى في القرن الثامن عشر مساحة كبيرة للفلسفات القديمة التي سبقت الإغريق والفلسفة اليهودية

---

(1) IAI NEWS, How Western Philosophy Became Racist, Lloyd Strickland, 10 JAN 2020.

(2) لويدستريكلاند: أستاذ الفلسفة والتاريخ الفكريّ في جامعة مانشستر متروبوليتان، المملكة المتحدة.

والإسلامية في العصور الوسطى. ولكن بحلول نهاية القرن الثامن عشر، بدأ هذا يتغير.

وضع تلامذة كانط معاييرَ مستمدة من أعمال كانط الخاصة لما يُعتبر فلسفة؛ ضمنت هذه المعايير أن كل الفكر غير الغربي لم يعد مؤهلاً للفلسفة، مما جعل الفلسفة مشروعًا أوروبيًا حصريًا

في قلب هذه التغيير كان أحد الشخصيات المركزية في الفلسفة الأوروبية، إيمانويل كانط (1724-1804). سعى تلاميذ كانط إلى إعادة كتابة تاريخ الفلسفة بشكل تدريجي لفلسفة كانط النقدية الخاصة، حيث تعاملوا مع ذلك على أنه الهدف الذي كانت جميع الفلسفة السابقة تتجه إليه طوال الوقت. وضع تلامذة كانط معاييرَ مستمدة من أعمال كانط الخاصة لما يُعتبر فلسفة؛ ضمنت هذه المعايير أن كل الفكر غير الغربي لم يعد مؤهلاً للفلسفة، مما جعل الفلسفة مشروعًا أوروبيًا حصريًا. تبعا لذلك، بدأ بعض الكانطيين في تجريد الأنظمة غير الغربية من تاريخهم في الفلسفة، وعلى الأخص وليم جوتيليب في كتابه المؤلف من 11 مجلدًا (1798-1819). أولئك الذين استمروا في تضمين الفكر غير الغربي لم يفعلوا ذلك إلا من أجل إظهار أنه لم يكن مؤهلاً كفلسفة حقيقية.

وافق كانط نفسه بشكل خاص على هذه المحاولات لإعادة كتابة تاريخ الفلسفة. لقد فعل شيئًا مماثلاً لنفسه عندما رسم تاريخ الفلسفة كجزء من محاضراته المنطقية في الثمانينيات من القرن التاسع عشر. في هذه المحاضرات ، حدد الإغريق كمنشئين للفلسفة ورفض أنظمة الثقافات الأخرى على أنها إما ليست فلسفية على الإطلاق أو مثل «لعب أطفال» بالمقارنة مع الإغريق. كما أظهر( بيتر ك. جيه بارك) في كتابه أفريقيا وآسيا وتاريخ الفلسفة (كتاب لم تتم مراجعته من قبل أي تاريخ في مجلة فلسفية)، فإن هذا يتشابك تمامًا مع الفكر العنصري الذي طوره كانط في كتاباته الأنثروبولوجية. وفقا لكانط ، تم تقسيم الأنواع البشرية إلى أربعة أجناس

متميزة ، من مستويات تنازلية من القدرة والقيمة:

(1) البيض، الذين لديهم جميع المواهب والقوى المحفزة،

(2) الآسيويون، الذين يمكن تعليمهم ولكن ليس في المفاهيم المجردة مطلوب للفلسفة،

(3) أفارقة، يمكن تعليمهم ولكن فقط كخادمين.

(4) أمريكيون أصليون، غير متعلمين على الإطلاق.

في هذا الصدد، سيكون الأوروبيون البيض فقط قادرين على الفلسفة، مما يجعل من غير المستغرب أن تنشأ الفلسفة في أوروبا وفي أي مكان آخر. سرعان ما طور «فريدريك أوجست كاروس» تنويعاً لهذه الفكرة في أفكاره عن تاريخ الفلسفة (1809)، وهي أن اليونانيين يمتلكون «عبقرية خلاقة» فطرية لا تشاركهم بها الشعوب الأخرى، وهذا هو السبب في ازدهار الفلسفة هناك وليس في أي مكان آخر .

على الرغم من أن المؤلفين اللاحقين لتاريخ الفلسفة لم يشاركوا وجهة النظر الكانتية بأن أجيال الفلاسفة كانت تتحسس ببطء نحو فلسفته الخاصة، إلا أنهم اعتمدوا العديد من المبادئ التي استخدمها كانط وتلاميذه عند كتابة تاريخ الفلسفة. ومن ثم، سرعان ما أصبحت حقيقة مقبولة أن الفلسفة كانت يونانية في الأصل، وأنها تطورت من خلال عبقرية فطرية لا يمتلكها أي شعب آخر، وأن أي أفكار تم العثور عليها خارج الغرب لم تكن مؤهلة كفلسفة حقيقية على الإطلاق. تم العثور على كل هذه المجازات في محاضرات هيجل حول تاريخ الفلسفة، التي ألقيت بين عامي 1805 و 1831. في الإصدارات السابقة من محاضراته، عالج هيجل التفكير «الشرقي» بصرامة كمسألة أولية، وأصر على أنه لا يستحق مكانًا في تاريخ الفلسفة الصحيح. في الإصدارات اللاحقة من

محاضراته، خصص مساحة أكبر للشرق وفكره، لكنه لا يزال يعاملها على أنها تمهيدية لتاريخ الفلسفة ولا يزال يصر ...

في حين جادل البعض بأن رفض هيجل للفكر غير الأوروبي تأثر بكراهية الأجانب الشائعة في القرن التاسع عشر، زعم بارك أن هيجل كان مدفوعًا بنظرية عنصريَّة لا تختلف عن نظرية كانط، مما يفسر سبب تقييد الفلسفة إلى (أبيض) الشعوب «الجرمانية»، الذين يقطنون أوروبا الغربية. في حين أن الأحكام المسبقة لبعض مؤلفي القرنين التاسع عشر والعشرين من الفلسفة لا يمكن تحديدها إلا بعد تحليل المخاطر، مثل ذلك الذي أجراه بارك، ارتدى مؤلفون آخرون تحيزاتهم، على سبيل المثال، الادعاء المتكرر بأن اليونانيين (البيض) لديهم عبقرية خلاقة فطرية. تم توضيح النغمات العنصريَّة لهذا الادعاء صراحة أخيرًا في عام 1882، عندما ادعى (جول-إميل ألاو) في كتابه «تاريخ الفلسفة» أن «بعض الأجناس أكثر قدرة على الفلسفة من غيرها، تمامًا مثلما توجد أجناس أكثر قدرة على الشعر أو الفن». ومن ثم، في عام 1939 في مقدمة لتاريخ الفلسفة، اختتم جوزيف بورغس مسحًا موجزًا للغاية للفلسفة الهندية مع الادعاء بأن «الروح الغربية ... تميل إلى اعتبار أعمال نيرفانا هذه بمثابة الكثير من المترددين، غير المألوف لرجل من الفطرة السليمة والحكم السليم». وهذا في كتاب الطالب!

لم يذهب معظم مؤلفي تواريخ الفلسفة إلى هذا المستوى من التطرف، وعادة ما تجنبوا ذكر الفكر غير الغربي على الإطلاق. يصرأتباع هيغل على أن الفلسفة الحقيقية يجب أن تكون مستقلة عن الدين، وهو اختبار يزعمون أنه فشل من قبل الأنظمة القديمة المصريون والكلدانيون والفينيقيون والإثيوبيون إلخ. من خلال اشتراط أن تكون الفلسفة الحقيقية متميزة عن الدين، تمكن العديد من مؤلفي تاريخ الفلسفة من استبعاد من تاريخهم ليس فقط مختلف الفلسفات القديمة غير

الغربية ولكن أيضًا الفلسفة اليهودية والإسلامية في العصور الوسطى أيضًا. المثال الأكثر تطرفا لهذا كان ألبرت شويغلر ، الذي ادعى في كتيبه لتاريخ الفلسفة (1848) أنه بما أن فلسفة العصور الوسطى بأكملها كانت معنية بالمذاهب اللاهوتية، فلن يناقش أيًا منها.

في حين أن مؤلفي تاريخ الفلسفة الآخرين لم يتخذوا خطوة جذرية لشطب فلسفة العصور الوسطى برمتها، اختار البعض مناقشة الفلسفة المسيحية في العصور الوسطى فقط. ومن ثم، لم يشر حساب جان فيليكس نوريسون لتقدم الفكر البشري من طاليس إلى هيجل (1858) إلى الفلسفة اليهودية أو الإسلامية في العصور الوسطى، ولا كتيب ألبرت ستوكل لتاريخ الفلسفة (1870). وسرعان ما اتبع المؤلفون البريطانيون والأمريكيون حذوهم، إما بتجاهل الفلسفة اليهودية أو الإسلامية في العصور الوسطى تمامًا، مثل أرشيبالد ألكسندر في كتابه «تاريخ قصير للفلسفة ›› (1907) وإرنست كوشمان في كتابه «تاريخ المبتدئين في الفلسفة ›› (1918-1920)، أو معاملتها بشكل عشوائي. وهكذا في تاريخ الطالب في الفلسفة (1901)، خصص آرثر كينيون روجرز فقرة واحدة للفلسفة الإسلامية في العصور الوسطى، والتي كانت أكثر من جوزيف بيرجيس، الذي خصص جملين كاملين لها في مقدمة لتاريخ الفلسفة (1939). كانت المعالجات الأخرى مرفوضة ببساطة، وعلى الأخص ادعاء برتراند راسل في تاريخ الفلسفة الغربية (1945) بأن «الفلسفة العربية ليست مهمة مثل الفكر الأصلي». اختار مؤلفون آخرون مناقشة الفلسفة اليهودية والإسلامية فقط لأهميتها لفهم تطور الفكر المدرسي (المسيحي)، وليس لمصلحته الخاصة.

والنتيجة النهائية لكل هذا أنه منذ أواخر القرن الثامن عشر وحتى القرن العشرين ، فإن ماضي الفلسفة، كما هو معروض في تواريخ مختلفة للفلسفة، تم

محوه تمامًا. تم استبعاد معظم الفلسفات غير الغربية التي كانت تشكل جزءًا من كتب حول تاريخ الفلسفة بشكل متزايد ، في حين تم التعامل مع تلك التي بقيت غالبًا بشكل سطحي أو رفض، أو تم تضمينها فقط لقيمتها في تفسير تطور الأفكار الغربية. سواءً عن وعي أم لا، فإن الصورة التي غالبًا ما يتم رسمها في الكتب المدرسية عن تاريخ الفلسفة هي أن الفلسفة كانت مصدر قلق غربي حصريًا، مع أي أفكار ومذاهب من أي قيمة - وبالتالي تستحق التسجيل في تاريخ الفلسفة - تم تطويرها من قبل البيض. من المفارقات أن الفلسفات غير الغربية قد حُرِمت من تاريخ الفلسفة في نفس الوقت بالضبط عندما أصبحت معلومات أكثر عنها متاحة في الغرب. ازداد نشر الكتب حول مختلف الفلسفات غير الغربية طوال القرن التاسع عشر وتسارع بشكل كبير في القرن العشرين، مع توافر العديد من الأعمال المتخصصة في الفلسفة الصينية والهندية والإسلامية والأفريقية. ومع ذلك، فإن تراكم الكثير من الأدلة على النشاط الفلسفي خارج الغرب لم يحفز مؤلفي تاريخ الفلسفة على تغيير محتويات أعمالهم - فقد تمسكوا بشدة بالرواية الأوروبية المتمركزة في بداية هذا المقال - ولكن فقط العناوين: من في ثلاثينيات القرن الماضي فصاعدًا، بدأ مؤلفو هذه الأعمال في تسمية كتبهم تاريخ الفلسفة الغربية بدلاً من تاريخ الفلسفة، وهو اللقب الذي تم استخدامه تقليديًا قبل ذلك. من خلال الإشارة إلى أنهم كانوا يكتبون تواريخ الفلسفة الغربية، كان هؤلاء المؤلفون يعترفون ضمنيًا على الأقل بوجود فلسفات خارج الغرب، حتى لو اختاروا عدم مناقشتها في عملهم.

**لم يشر حساب جان فيليكس نوريسون لتقدم الفكر البشري من طاليس إلى هيجل (1858) إلى الفلسفة اليهودية أو الإسلامية في العصور الوسطى، ولا كتيب ألبرت ستوكل لتاريخ الفلسفة (1870). وسرعان ما اتبع المؤلفون البريطانيون والأمريكيون حذوهم**

على مدى العقد الماضي أو نحو ذلك، كانت هناك العديد من الدعوات للفلسفة الغربية للتخلي عن عزلتها الراسخة، ومؤرخو الفلسفة بدأوا في الاستجابة لهذه الدعوات. على الرغم من أننا لا نزال لا نملك تاريخًا حقيقيًا للفلسفة بجميع أشكالها، إلا أن سلسلة بيتر آدمسون الطموحة متعددة المجلدات»سلسلة تاريخ الفلسفة من دون أية فجوات» قد بدأت بداية إيجابية في معالجة هذه الفجوة، على الرغم من أنّ المشروع ما يزال قيد التأليف، وما تزال السلسلة بعيدة عن الاكتمال. إلى ذلك، يمكننا الآن أن نضيف جوليان باجيني «كيف يفكر العالم: تاريخ عالمي للفلسفة» (2018)، والذي يقدم رحلة مسلية (إن لم تكن محايدة تمامًا) من خلال بعض الفلسفات المختلفة في العالم. من الواضح أن الفلسفات غير الغربية ستظهر في كتاب A. C. Graylingالقادم تاريخ الفلسفة (2019) أيضًا. سيستغرق الأمر الكثير من الجهد المستمر لإبطال قرون من استبعاد وتهميش الفلسفات غير الغربية، ولكن هناك على الأقل علامات تدل على أننا قد نكون في النهاية على الطريق الصحيح.

## 17. المركز العربي لدراسة السياسات (مترجم عن الفرنسية)

### كتاب «نوعان من البشر: تشريح العنصريَّة العادية»[1]

بحسب مؤلف الكتاب دوني بلوندان، تميز النظرة الغربية للعالم بين نوعين من البشر: نحن أي الغرب الأبيض، والآخرون أو الشعوب الملوّنة، العالم الثالث والبدائيون. والفصل بين هذين النوعين جذري: الغرب الأبيض هو التاريخ، بينما تكتسب الشعوب الملوّنة طبيعة جغرافية.

(1) صدر عن سلسلة «ترجمان» في المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات كتاب نوعان من البشر: تشريح العنصريَّة العادية، وهو ترجمة عاطف المولى لكتاب دوني بلوندان بالفرنسيَّة.
Les deux espèces humaines: Autopsie du racisme ordinaire

في الفصل الأول وعنوانه «رجل الشيربا المغمور»، يقول بلوندان إن عالمنا الذهني ينبني حول تعارض بين نوعين إنسانيَين، «وتتلخص المسألة كلها في معرفة سر إصرارنا على الجهر عاليًا بأننا ننتمي إلى إنسانية واحدة، وفي القول إن جميع البشر متساوون ويمكنهم التمتع بالحقوق الأساسية نفسها».

يرى المؤلف أن خط الفصل بين الإنسانيتين واضح، ويكفي على سبيل المثال المقارنة بين قـدَرَي اثنين من البشر ولدا على الحدود بين الشمال والجنوب؛ «فالمواطن الأميركي، بفعل مولده على أرض مباركة، يفخر بحمل جواز سفر أميركي، مع كل ما يحمله الأمر من امتيازات، في حين أن المواطن المكسيكي، المولود في الشارع المحاذي في القرية العالمية، سيجد نفسه محصورًا إلى الأبد ضمن حدود مكانةٍ من الدرجة الثانية».

يضيف بلوندان بأن بنية الكتب المدرسية في مقاطعة كيبيك الكندية تنطلق من الفصل بين النوعين الإنسانيين: الإنسانية التاريخية (نحن) والإنسانية الجغرافية (الآخرون). ويضيف أن الخطابات المعاصرة عن البدائيين وإقصاءهم المنهجي عن الحياة الإنسانية الحقيقية لا يبقيان محصورين في الكتب المدرسية أو في القصص الخيالية، فهي تشكل نسيج الفلسفة الغربية ذاته، كما تُدرّس على مختلف المستويات ويجري تعميمها ونشرها عبر المطبوعات الكثيرة.

يطرح بلوندان، في الفصل الثاني وعنوانه «لوسي القردة»، إشكالية «جنس بشري أم عرق بشري»، فيقول إننا ندّعي اليوم أننا حققنا دمج اصناف عدة من البشر في صنف وحيد، إلا أن ذلك مستبعد إكماله؛ لأننا أعطينا هذا الصنف وضعية أنه جنس، ما يؤدي منطقيًّا إلى قبول احتمال وجود أنواع متمايزة في الاستخدامات الشائعة الخلط المنهجي بين مختلف مستويات التصنيف: نوع، جنس، عرق... إلخ. في العلوم البيولوجية، وحده مفهوم النوع كيانٌ معرّف به ومحدد بوضوح؛

إذ إن حدود النوع هي النقطة التي يستحيل التكاثر بعدها. وهذه هي حدود الخصوبة، لأن النوع يؤلف كيانًا معزولًا جينيًّا عن الآخرين. وينبغي أن يكون واضحًا أن البشر - بالمعنى البيولوجي - يشكلون نوعًا واحدًا؛ إذ إن جميع سكان العالم اليوم متناسلون جوانيًّا في ما بينهم، وعلى الرغم من إصرار ثقافتنا على أن تفصل ذهنيًّا البشر إلى أعراق، فإننا نشكِّل بالفعل نوعًا واحدًا. وحاولت القوانين العنصريَّة العرقيَّة أن تحل محل القوانين البيولوجية، بأن تمنع التصالب بين الأنواع الاجتماعية التي جرى تعريفها بأنها أعراق، إلا أنها لم تنجح في ذلك. وعلى الرغم من هذه البداهة، اخترنا أن نعرّف أنفسنا أننا «الجنس البشري» بالفرنسية، و«العرق البشري» بالإنكليزية، كما لو كانت عبارات «عرق» و«نوع « و«جنس» شيئًا واحدًا.

في الفصل الثالث، «انحراف القارات»، يرى بلوندان أن التجمعات البشرية تُبرز اختلافات جينية قليلة، تستضمن ترددات مختلفة لدى بعض الجينات، «لكن هذه الاختلافات لا علاقة لها بعمل العقل. ويستند وَهْم وجود تواصلٍ ما بين الأعراق والثقافات إلى الارتباط المتبادل بين هاتين السلسلتين من الاختلافات، لكن العادة العلمية في الانتقال من الارتباطات المتبادلة إلى الأسباب تقع هنا بشكل واضح في موقع الخطأ. مع ذلك، فإن هذا الارتباط المتبادل تفسره بسهولة حقيقة أن البشر معتادون على صنع أطفالهم بأنفسهم عبر جيناتهم، كي يقوموا لاحقًا بتعليمهم ثقافتهم. وتؤمِّن هذه العادة المعممة التوازي بين التقاليد الثقافيَّة والسلالات الجينية، لكن دائمًا من دون صلة مباشرة بين هاتين الحقيقتين. ويكفي أن نغيّر العادة وأن نتبنى أطفالًا غرباء حتى نلاحظ الانفصال التام (التخليع) لهذه الأبعاد لدى الأطفال ذوي العيون المغولية واللكنة الفرنسية أو الكيبيكية الممتازة».

في رأي بلوندان جرى بناء هذا التصور العرقي انطلاقًا من محورين رئيسين: محور زمني أو تاريخي مسمى «تطوُّر»، ومكرّس لتصورنا للـ «نحن»، ومحور مكاني

(حيزي) أو جغرافي مسمى «التكيّف»، مطبَق على تصوُّرنا للآخر. إن النظامين النظريين اللذين يؤمِّنان بنية هذه الرؤية الكونية هما النشوئية التطورية والحتمية البيئية، لكن هاتين النظريتين لا تتنازعان، بل تنبثقان من المصدر نفسه: الداروينية، وتشكلان المتحدرين المتعارضين للرؤية ذاتها، المنقسمة والمعكوسة، كي تطبَق على نحو متعارض على النوعين البشريين.

يقول المؤلف، في الفصل الرابع، «كورتيز والآزتك»، إننا حين نفصل في أذهاننا بين النوعين البشريين المشار إليهما أعلاه، يتحولان على نحو منتظم ومنهجي إلى كيانات بيولوجية. وفي هذا السبيل، نستخدم بناءين اعتباطيين هما في الحقيقة وثيقا الصلة: «هناك من جهة أولى اختراع تطور بيولوجي يحصل في داخل النوع البشري نفسه، وليس قبل ظهوره، وهناك من جهة أخرى اختراع كيانات بيولوجية نسميها أعراقًا واعتبار أنها نتاج طبيعي (بيولوجي أو إيكولوجي) أكثر مما هي حصيلة علاقات بين الحضارات الإنسانية».

يضيف أن هذين الركنين من أركان نظامنا المعرفي «هما أصعب ما يكون على التفكيك؛ إذ إنهما لا يزالان مطبوعين بقوة بطابع البداهة أو الحقيقة، ولأنهما مدعومان دائمًا بأغلبية كبيرة من الناطقين باسم العلم. وقد تلقّى محور الأصناف العرقيَّة ضربات قوية على أيدي علماء بيولوجيا فرنسيين مشهورين، إلا أن محور التطورية لم يمسه شيء، لأن عددًا قليلًا من العلماء هاجم أو لأن أعمال هؤلاء لم تنتقل إلى ساحة السجالات الأيديولوجية. إن تحويل الكائنات البشرية إلى بيولوجية يستوجب أيضًا اللجوء إلى مونتاج آخر، لا يكون فيه البعد الأيديولوجي المحض مغطى إلى هذا الحد بخطاب ذي ادعاءات علمية: وهذه هي الفردانية».

في الفصل الخامس، «النظريات ذات الوجهين»، يجد بلوندان أن لائحة التناقضات في داخل نظام التصورات الغربية للعالم طويلة بقدر ما هي بليغة،

ولا سيما في ما يتعلق بتفسيرات التطور والتخلف التي تبدو دائمًا مبنية على أنها نظريات ذات وجهين: واحدة «لنا» وواحدة «للآخرين».

وفي نظره، يجب التحديد أن هذه النظريات المتعارضة، مع بعض الاستثناءات النادرة، لا يُنظر إليها على أنها تناقضات، بل مجرد تباينات بسيطة، بناءً على نظرة تراها منطبقة على مشكلات متميز بعضها من بعض. لكن بغية اعتبار التطور والتخلف مسألتين متميزتين، ألا يجدر أولًا النظر إلى النوعين البشريَين المتعلقين بهذين المفهومين على أنهما يشكّلان حقائق متميزة لا يمكن تفسيرها بالرجوع إلى الأسباب أو النماذج نفسها؟ فمن أجل اكتشاف نظام التناقضات بين الخطابين، يجب حسبان مجمل البشر حقيقة واحدة، كائنات من الطبيعة نفسها. إلا أن المفهوم الغربي للبشرية هو بالخصوص مفهوم ذو طابع معياري، بينما يشطره تحليله المعرفي العقلاني إلى مجموعتين متعارضتين على امتداد تشكيلة كاملة من المستويات، يتعامل معها على أنها كيانات بيولوجية.

ويؤكد المؤلف، في الفصل السادس، «الرواية الرسمية»، أن لعبة التفسيرات أو النظريات تبقى غير مفهومة من دون العودة إلى التركيبة الأخلاقية للخطابات، وأن ثمة حوارًا هادئًا يجري باستمرار بين القلب والعقل، بين العلم والفكر، وينبغي دراسة لعبة التبادلات بعمق، لكن يجب أولًا توضيح كيف تختبئ هذه اللعبة تحت تركيبة من الأفكار والمشاعر التي تعطينا رواية رسمية عن العالم.

يلخص بلوندان النسخة الغربية عن الكوزمولوجيا البشرية كما يأتي: «فلنؤكد بقوة أن ليس هناك سوى بشرية واحدة وأن البشر كلهم متساوون، لكن في الحقيقة نحن نعلم جيدًا أن الأعراق البشرية مختلفة بطبيعتها، بقدر الأنواع نفسها، أي إنها ليست موهوبة بشكل متساوٍ لتحقيق التطور أو لحكم العالم، بفضل هذا الصوغ الأكثر دبلوماسية، يوافق الآخرون بشكل أسهل على الإبحار في إنسانيتنا»، مستعيدًا

تركيبة غوستاف لوبون: «استنادًا إلى معايير تشريحية جلية مثل لون البشرة، شكل الجمجمة وحجمها، كان من الممكن تحديد أن جنس الإنسان يتألف من أنواع عدة منفصلة تمامًا وعلى الأرجح ذات أصول مختلفة [...] وأن الأنواع تسمى على الأرجح أعراقًا كي لا نخدش الحساسية المسيحية التي تريد أن ينتمي جميع الناس إلى النوع نفسه». ويعلق بلوندان: «هكذا ولد الخطاب 'اللائق سياسيًّا'».

أما الفصل السابع، «القلب وما يشير به»، ففيه يسأل المؤلف: «هل من الضروري الغرق في هذيان تجريم الذات كي يكون عندنا تفسير أكثر تماسكًا عن الوضع الراهن للعالم؟ هل يجب علينا الاختيار بين حكم أخلاقي على أنفسنا 'نحن' - على مسؤوليتنا 'نحن' عن النظام العالمي الحالي وعن التخلف - وحكم واقعي على 'الآخرين' - على دونيتهم الطبيعية؟ هل من الضروري تبنّي نظام شروحات يقارب الشيزوفرينيا للحفاظ على توازن أخلاقي معيّن، مع هذا النظام الاجتماعي الكوني، من خلال الفصل بين الأبعاد المكانية والزمنية للكون لإحياء الحقائق المنفصلة للنوع التاريخي والنوع الجغرافي؟ هل علينا الاختيار بين النزاهة الأخلاقية والتماسك العقلي؟ هل العنصريَّة خطأ أم أمر سيئ؟».

وفي رأيه تقود محاولة علماء الأحياء الفرنسيين المناهضين للعنصريَّةإلى إعادة طرح وجود الأعراق في داخل النوع البشري، وتبدو منحازة إلى أن العنصريَّة خطأ. لكن التجارب العلمية لا تكفي لإنهاء الاستخدام الاجتماعي لمقولة العرق أو العنصريَّة التي تبدو أكثر حقيقية من أي وقت مضى؛ فهي ميزة كل نظام فكري في أن ينجح في الإيقاع بين الفكر والوعي. إن علوم الكونيات الاجتماعية أو أنظمة تصوراتنا هي دائمًا تجميعات لمفاهيم ومشاعر، بما أن كل أيديولوجيا هي خليط من مكوّنين: القليل من النظرية والقليل من العقيدة؛ فالنظريات تدعي طرح تفسيرات ممكنة من دون القيام بأعمال محددة، بينما تكتفي العقائد بالتعيين

والإلزام من دون تقديم تفسيرات.

في الفصل الثامن والأخير، «مبادئ أولية لصوغِ أنثروبولوجيا الإنسان العاقل»، يقول المؤلف إن الـ «نحن» تعني «كل نوع الإنسان العاقل»، وهذا لا يلغي استخدام أشكال الـ «نحن» الأخرى كلها، ولا اللجوء إلى العرقيَّة المتمركزة حول الذات، والتي تسمح بتركيب العلاقات بين البشر... لكنها تستلزم بناء أنثروبولوجيا جديدة للإنسان العاقل، ينبثق صوغها من انتقاد التصورات الغربية التقليدية عن العالم. وما الهدف الأول لهذه الأنثروبولوجيا الجديدة إلا صوغ خطاب يتعلق تحديدًا بنوعنا، الإنسان العاقل، للخروج من مأزق النظريات ذات الوجهين، ولإنتاج تعميمات عن المجتمعات كلها والثقافات الإنسانية كلها، وللعصور كلها.

يضيف بلوندان: «رأينا أن الأفق الخاص بالإنسان العاقل لا يتناسب مع 'التاريخ' ولا مع 'ما قبل التاريخ'، إنما مع ذلك الجزء من 'ما قبل التاريخ' الذي يتعلق بنوعنا فحسب، أي حوالى خمسة وثلاثين ألف سنة أو أربعين ألف سنة، منذ تأكيد وجود هذا الثديي (من الثديِيّات) الموهوب في اجتراح الفكر واللغة الرمزيين».